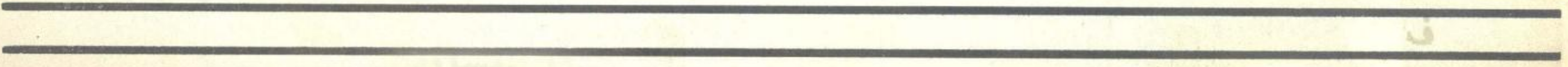


المشقافة

مجلة فكرية تصدر في دمشق





shiabooks.net
مكتبة كتب الشيعة

رابط بديل < mktba.net

إلى متى يارهبان الفكر؟

في زمن أصبحت فيه اللثة النطيفة أندر من مطر الصيف، وأصبحت الأضواء مجانية تسلط على من يستحق ومن لا يستحق، وفي مرحلة نحن فيها أكثرماندون حاجة إلى الفكر النقي الملتزم لا يسعنا إلا أن نهيب برهبان الفكر الذين اعتصموا في صوامعهم أن يخرجوا، قائلين لهم: إلى متى هذا الصمت؟ ولا نعدم قائلاً يقول:

لماذا نخرج في زمن، العتمة فيه خير من مجانية الأضواء؟ ٠٠ وردنا على هؤلاء، هو أن مجرد خروجهم يجعل للأضواء قيمة حقيقية ويذهب عنها صفتها المجانية، ودعوتنا هذه أمانة حملناها مؤمنين بأن الأذواق مازالت من الهجين، ومازالت ثقتنا كبيرة بأن الأضواء ذاتها تأتي الآن تتخير الأجمل والأعذب ولكن قادرة على فرز الثمين من الغث، والأصيل ماحيلة الأضواء، إذا خلت الساحة من فرسانها؟

ومرة ثانية نهيب برجال الفكر الحق، والأدب الحق، والفن الحق، أن يخرجوا إلى النور وأن يخلفوا صوامعهم التي جعلتنا على ما نحن عليه.

رئيس التحرير

الثقافة

فكرية جامعة
تصدر في دمشق

ساحبها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش

الإدارة والتحرير

ص.ب ٢٥٧٠

هاتف « ٢٢٩٩٨٤ »

دمشق - الجمهورية العربية السورية

REVUE

«AL - SAKAFA»

PROPRIETAIRE - DIRECTEUR EN CHEF

MIDHAT AKKACHE

DAMAS R. A. S.

B.O.P. 2570

Te L. 229984

تموز

١٩٧٨

شاعران

عبقريان

معاصران

ابراهيم طوقان و ابو القاسم الشابي

اغنيا الادب العربي بلغة الشعر القومي والانساني الغالد

فوزي علي رضا النحوي

ان داسة حياة اي شاعر تحتاج الى دوية لبيان صودة العطاء في الشعر وجماله الفني ، حتى يكون البحث موضوعيا نستخلص منه قوة الابداع في الآلية اللفظية ونبضاتها القومية ، ذلك مع مراعاة ظروف كل شاعر والمراحل التي مر بها .

ان حياة الشاعرين طوقان والشابي حافلة بظروف قاسية جدا تشابه لحد ما في الموضوع والشكل . فكل منهما قاسى وعانى ما عانى من الآسسى ، ولكنها صيدا امام ضواري التحديات وغنيا الامة العربية بروائع الشعر النابض بالحياة ، بالكلمات المبسطة التي كان لايقاها خلودها على مر الزمن .

١ - ابراهيم طوقان

ولد ابراهيم عام ١٩٠٥ م في مدينة نابلس فلسطين واركبه المرض وهو في بطن امه !! بسبب مرضها اثناء الحمل ، فرأى النور والآلام والأمراض والضعف ، فكان أصم والصديد غامر أذنه اليمنى ، يعيش آلام القرحة والتهاب الأمعاء والاسهال المتواصل ثم فقر الدم ومعاناة الحب أمراض مزمنة وركبته حتى وفاته .

ترعرع الشاعران في بيئة أدبية محافظة وكلاهما درس القرآن الكريم فاكتمبا لغة عربية قوية مما ساعدهما على ازدهاد اللغة العربية وهضها وترديد الشعر الخالد وتحللها مكانة مرموقة في الوطن العربي وخارجه . شاعران وجدانيان ، لكل منهما حس قومي فياض ، يزفران النغمة على الاستعمار وحب الوطن واستنهاض الامة العربية وتحذيرها .

وفي عام ١٩٢٩ خاطب الذين باعوا اراضيهم الشاسعة من خارج فلسطين والغة القليلة من داخلها :

يابائع الارض لم تحفل بعاقبة

ولا تذكرت ان الغصم خداع

وغرك الذهب اللامع تحرزه

ان السراب كما تدويه لهاع

فكر بموتك في ارض نشأت بها

واترك لقبرك ارضا طولها باع

في عام ١٩٣٥ برزت شحنة غاضبية نفس ابراهيم على المتخاذلين من الفلحة العرب فقال :

لاتعلمي ان لم اجد من ويغض

لرجاء ما بين هذا السواد

ثم حذر قائلا :

اجلاء عن البلاد تريبو

ن فنجلو ، ام محققنا والازالة

وفي نفس المعنى يقول :

ياقوم ليس امامكم ممن يلين ويرحم

ياقوم ليس امامكم الا الرحيل فعزموا

اما عن المخلصين فقال في عامي ١٩٣٣ - ١٩٣٥ :

رحم الله مخلصا لبلاد

ساوموه الدنيا فاباهها

لو اتوه بالتبر وذن ثراها

لاباهها وقال : افي ثراها

ويقول ايضا :

ما حترتي الا على متغف

يقوم لوجه الله بالتهفة الكبرى !

تعليم في الابتدائي في نابلس وبيت ، ثم درس في مدرسة المطران بالقدس فالجامعة الاميركية في بيروت ، وخلال سني حياته كان موضع المعالجة واجراء العمليات الجراحية .

علم في الجامعة الاميركية في بيروت بعد ان تخرج منها عام ١٩٢٩ م وهو لامع في الادب واللغة ، ثم ترك الجامعة وانتحن كمدرس في كلية النجاح في نابلس ، ترك الكلية ليعلم في الكلية الرشيدية بالقدس ، فاشتد عليه المرض واستقال وعزف عن التعليم نهائيا وذلك عام ١٩٣٢ . وفي آذار ١٩٣٦ م عين مديرا لبرامج اللغة العربية في اذاعة فلسطين الحكومية فيلذ مجهودا ملموسا في عمله الجديد وبسبب موافقه الوطنية ، اقالته اسبسلطات البريطانية عن العمل في ١ - ١٠ - ١٩٤٠ . غادر فلسطين الى العراق ليدرس هناك ، ولكن الدوائر الاستعمارية كانت له بالمرصاد فعين في دار المعلمين الربيعية حيث الحر الشديد الامر الذي ضاعف من آلام امراضه فعاد الى القدس بعد ان عرج على نابلس وبعد معالجات متعددة في القدس وافته المنية في ايار ١٩٤١ ، وقد نعته الاذاعة في القدس التي اقالته موافقة العنت والضيق ، فتحدثت عن فضله وخيماته الى الاديب العربي ، وبذا يكون ابراهيم قد توفي وعمره ستة وثلاثون عاما .

كان شاعرا ملها ، متوثب الماطلة ، صادق الوطنية ولم ينحصر نبوغه بالشعر فقط بل بالثر أيضا ، غير ان شاعريته رفعت به الى مرتبة الشعراء العباقرة ، وكان شعره وحيا لايقوله الا بعد ان ترده خاطرة الشعر فيسكب في لغة متينة . كان ناقدا حسن الالفاظ صريح الكلام ، ضابطا للفظ ، جميل الاداء يتأني في انشاد اشعر صوته جهوري يسحر السامعين .

ان امراضه المزمنة التي اصبت حياته وقضت عليه باكرا لم تكن حائلا دون التطلع الى آمال امته ووطنه ومطامح الاستعمار في تهويد فلسطين عن طريق الارهاب الوحشي ، وكثيرا ما تأمل في نظراته الواقع فلسطين وما ينتظرها من مستقبل تأمل الراعي لاساليب الاستعمار ، وقد وصف الأستاذ أنيس المقدسي الشاعر طوقان بقوله : « لعل شعر ابراهيم أحسن مرآة لحال فلسطين السياسية والاقتصادية في عهد الانتداب » .

في عام ١٩٢٨ استنهض الشاعر قومه قائلا :

كفكف دموعك ليس ينفعك البكاء ولا العويل
وأنهض ولا تشك الزمان فما شكا الا الكويل .

وكان في عام ١٩٣٣ قد وجه لوما الى الصحافة العربية وقادة العرب فقال :

اخواننا اهل الوفاء اهل المسودة والولاء
من كل قطر بالعرو به ذي ازدهار واژدها
احبابنا لا تغفروا عنا بظاهرة الثراء
عرضت لكم خلف الزجا ج تمير في حل البها
هيئات ذلك ، ان في بيع الثرى ، بيع الثراء
فيه الرحيل عن الريو ع غدا سانبدا لعرا

أما عن الصحافة فقال :

للحق سطر في صعا فتنا وللتلليل نهر
تلك الصحافة كيميا ، لها بخلق الله سر!!

اشتعلت في عال ١٩٢٩ ثورة البراق ، والتي القىض على عدد كبير من الشبان منهم عطا الزير ومحمد جبرم من الخليل وغزاد حجازي من صفد وقد حكم على الثلاثة بالاعدام ونفذ يوم الثلاثاء في ١٧ - ٦ - ١٩٣٠ . وكان ترتيب تنفيذ الاعدام أولا يفؤاد حجازي ثم عطا الزير و آخره محمد جبرم ، لكن الأخير حطم قيده وزاحم رفيقه على دوره وشق بمد فؤاد حجازي . وقد اوحى بطولة الجبرم الى ابراهيم طوفان مشيدا مؤثرا أسماء (الثلاثاء الحراء) مقارنا بالظالم الانسانية التي مرت بتاريخ الانسانية ، فانشد قائلا :

يوم اطل على المصور الغالية
امر على الوردى امثالية

فاجابه يوم : اجل ، انا واويه
لحاكم التفتيش تلك الباغية

اما الساعة التي شق فيها محد جبرم فقد قال فيها الشاعر :

انا ساعة الرجل الغتيد
انا ساعة الباس الشديد

كان ابراهيم يقدر قوة الاستعمار فازدادت نفقته عليه ولام العرب الذين خدعوا أنفسهم عن طريق ماطلة الانجليز في المسألة والسياسة فقال عام ١٩٣٣ - ١٩٣٥

نبئوني عن القوى ، متى كا
ن وحية ؟ هيئات من عز تاهيا

لايلين القوي حتى يلاقي
مثله عزة وبطشا وجاهيا

لقد ابدع ابراهيم في التهكم بقدر زعما العرب ومبناها محذرا في الوقت ذاته فقال عال ١٩٣٥ :

ايها المخلصون للوطنية
انتم العاملون عيسى القضية

وبيان منكم يرد علينا
غابر المجد من فتوح امية

ماجدنا من افضالكم غير انا
لم تنزل في نفوسنا امنية

في يدينا بقية من بلاد
فاستريحوا كي لا تطير البقية

وأبلغ مقاله ابراهيم نتيجة بقطة فكرية سياسية واعية في تحذيره العلني عن مصير فلسطين والوطن العربي ، فقال عام ١٩٣٥ :

امامك ايها العربي يوم
تشيب لهوله سود النواصي

مصيرك بات يلهمه الاداني
وسار حديثه بين الاقاصي

فلا رجب القصور غدا يباق
لسانها ولا ضيق الغصاص

انسا ساعة الموت المشرف

كل شيء فعل مجيد

بطلاني يحطم قيوده

رمزا لتحطيم القيود

ومن أشهر وأبدع أناشيد إبراهيم نشيد (موطني)
الذي نطه عام ١٩٢٤ ، نشيد خلد الشاعر وأصبح
نشيداً قومياً للوطن العربي كله ومطلع النشيد :
موطني الجلال والجمال

والسنا، والبهاء. في رباك

انه نشيد مشهور مازال يتردد على شفة كل مواطن
عربي . وله أيضا نشيد خالد أيضاً :

وطني انت لي والغصم داغم

وطني انت كل المنى

وقد نظم الشاعر هذا النشيد ليغني على نشيد
انجليزي من أناشيد الجامعة الأميركية في بيروت التي
تخرج منها .

ومما تجدر الإشارة اليه ان الشاعر كان مطلقاً على
التوراة اطلاعا كاملاً وأفياً . وكان الشاعر اليهودي
رؤوبين قد عبر العرب بأصلهم من هاجر ووصفها بأنها
جارية لساراً أم اليهود ، وقد نظم الشاعر طوقان
قصيدة رد فيها على الشاعر رداً موضوعياً ومن التوراة
بالذات . وكانت جريدة فلسطين قد ترجمت قصيدة
الشاعر اليهودي . أما نص الرد الذي نطه إبراهيم
يبدو أنه قد فقد ولكن وجدت أبيات منه هي :

هاجر امنا ولود يؤول

لاحدود ولا عبوز عقيم

يوسف باعه ابوكم يهوذا

ان حب الدينار فيكم قدريم

شكبير خالد القبول فيكم

(امرييلوخ) في الورد معلوم

غير ان الذين منهم شكبير

تناسوا ما قال ذاك العظيم

وللشاعر طوقان قصائد متنوعة كالغزل والرناء ،
عزفت عنها وآثرت ان احصر دراستي في شعره القومي .
وإذا كان الشاعر قد عاش عذاب الأمراض الطاحنة
غير أن عبقرته صمدت أمام الأحداث والأمراض المزمنة
وأنتج شعراً خالداً نابغاً من آلام وأمراض أمته ، وهكذا
طويت حياة شاعر توجهها بالكرامة وعزة النفس وبالصالحات
العربية العريقة التي انحدر منها .

وهناك حادثة أثرت في نفس الشاعر وهي قصة شاب
مجاهد أراد ان يقتل نورمان نيتويز اليهودي
البريطاني الجنسية وقد آمن في عرب فلسطين في
الكتابة وكان مستولاً عن التشريعات الجائرة التي
أضرت بالشعب خدمة لقيام الكيان الصهيوني ، غير
ان الشاب أخفق في قتله بعد ان اطلق النار عليه وجرح ،
وقد نظم الشاعر شبه موشع بالحادث أسماء (الفدائي)
وقد قال الموشع الشاعر بشارة الخوري : « اتعرف
شيئاً عن المشاعرية المتوتبة التي تجيش بها النفوس
الظماي الى حرياتها ، ثم اتعرف شيئاً عن البلاغة التي
تطلقها الشغاف الملتهبة دماً وناراً ؟ » تعرف عليها إذن .
وفيا يلي أبيات من الموشع الذي نطه الشاعر طوقان :

لا تسلم عن سلالته روحه فوق راحتته

بدلته همومه كفنا من وسادته

من رأى فعليه الدجى اضمرت من شرارته

حملته جهنم طرفاً من رسالته

.....

صامت لو تكلمنا لفظ النار والدماء

فل لمن عاب صمته خلق الحرم ابكمنا

وفي عام ١٩٢٤ كانت مراكش الاسبانية في ثورة
لاهية على المستعمرين بقيادة الأمير عبد الكريم الخطابي
فأنشد الشاعر نشيداً رائعاً وهذه أبياته منه :

في ثنايا العجاج والتحام السيوف

بينما الجو داج والمنايا تطوف

يتهادى نسيم نحو عبد الكريم

حاملا ازكي تعابيا المشرق

٢ - أبو القاسم الشابي

لقد كان الشابي شاعرا وناثرا في الوقت ذاته وله آثار نثرية تمّ يطبع منها الا كتاب : (الخيال الشعري عند العرب) .

ان الشابي شاعر فذ مضطرب ، لا يعرف الاجنبية ، وقد تأثر بأحوال بلاده والاستعمار السياسي لها مما دفع به ان يشعر بشعور شعبه الفقير وذلك من خلال تطلعه الى نفسه بعد ان توفي والده الذي لم يكن موسرا . لقد كانت تونس تعاني الظلم والاستبداد فتنادى الى محاربة الاستعمار وحث شعبه الى النهوض وتحذيره أيضا من أي تقاعس . كان طموحا يعنى بالحرية واعلاء كلمة الحق .

شاعر وجداني عبقرى ، من جبابرة الأدب الرائع العظيم يتصف بوحدة الموضوع كالشاعر طوقان . وقد بلغ الضجج في الشعر في الخامسة والعشرين بالرغم من صغر سنه ، أي سنة وفاته . وكان فسي شعره نزعة التحرر بمعنى اطلاق النفس على سجيته . وكان ناقما متمردا متشائما لحد ما ، وقد عبر فسي شعره عن آمال قومه ووطنه والعودة الى الاصلاح والنهوض بالشعب .

آمن الشابي بالقضاء ، والقدر وخاصة بعد ان اخذت الامراض تتآكل جسده وفي ذلك يقول في (نشيد الاسى)

مالي تطعني الحيا ة كانشي خلق غريب
واذا سألت : لم الوجود وكله هم هذيب
قالت : نوايس السما ء قست وما لك من هروب

وكلمة قالت هنا تعود الى الحياة . انه ومع قناعته بالقضاء والقدر ترد عليه وفي اعماق قلبه قناعة وجوده . وفي ذلك يقول في قصيدته (نشيد الجبار) :

ساعيش رغم الداء والاعداء

كالنسر فوق القمة الشماء

واقول للقدر اللي لا ينثي

عن حرب آمالي بكل بلاد

ولد أبو القاسم في قرية الشابية إحدى ضواحي مدينة توزر ببلاد الجريد جنوبي بلاد تونس في عال ١٩٠٩ م ومن بلدته جا. لقب أسرة الشاعر .

نشأ في بيئة أدبية وفي رعاية والده الذي كان قاضيا شرعيا وتنقل في مختلف المدن التونسية حيث اكتسب أبو القاسم تجارب واسعة من خلالها تدفقت عبقرته الشعرية .

قال أبو القاسم عن والده : « انه افهمني معاني الرحمة والعنان وعلمني ان الحق خير ما في هذا العالم واقدس ما في هذا الوجود » .

في الخامسة عشرة من العمر عام ١٩١٤ درس في أحد الكتاتيب وحفظ القرآن الكريم . وفي عام ١٩٢١ انتسب الى الجامعة الزيتونية في تونس وهي جامعة عظمى لعلوم اللغة والدين وتخرج عام ١٩٢٧ وفي نفس العام التحق بكلية الحقوق التونسية ، واثناء دراسته للحقوق اصطلح بثلاث صدمات عنيفات : زواج خائب وحب دام وموت والده . لم يكن موفقا في زواجه فاحب فتاة ظن فيها تحقيق احلامه لكنها توفيت فسي المهام الذي احبها ، انتقل من حب الى آخر وعل ذلك كان في سبب دونه منيته . وفي عام ١٩٢٩ م توفي والده قبل ان ينال اجازة الحقوق ، فكان موت والده كارثة كبرى بالنسبة اليه ، ومع انه كان بحاجة الى المادة بعد وفاة والده فقد استطاع ان ينال الاجازة عام ١٩٣٠ م . قاسى من ضنك المعيشة وقسوة الأيام ولكنها لم يمنعه من ممارسة نشاطه الاجتماعي والادبي والسياسي ، ولم يلبأ الى العمل في القولة بل رضى بحياة متواضعة .

ان قسوة الأيام والظروف التي مرت بالشاذلي اوقعته في مرض شديد ، فيقول أبو انتقام كرو ان الشابي قد اصيب بتضخم في القلب بينما يقول محمد فهمي مؤلف الروائع لشعر الجيل ان الشابي مرض بالسل الرئوي ولما كان قفبر الحال وفي الوقت ذاته يحتاج الى المعالجة والاخلاد الى الراحة فقد كان منتظرا موته في كل حين ولما اشتد عليه المرض نقل الى المستشفى الايطالي وتوفي فيه عال ١٩٣٤ وبدا يكون قد عاش خمسة وعشرين عاما ، وفي اليوم الثاني نقل الى بلدته الشابية ودفن فيها .

وقد دفع به التشاؤم ان يصف القدر بالثرل بالخير
في قصيدة (أيها الليل) :

لأنحاول ان تنكر الشجو
اني قد خبرت الحياة خبر اديب

كن كما شات السماء كئيباً
اي شيء يسر نفس الاديب

انه كماقلنا شاعر قومي يلتهم حماساً فينظم الشعر
في لغة متينة وأسلوب فني بدعي وقد ظهر ذلك في
قصائده القومية ، فيقول في قصيدة (زئير العاصفة)

الا ايها الظلم المصغر خد
رويدك ان الدهر يني ويهدم

سيئار للغمز المحطم تاجه
رجال اذا جاش الردى فهم هم

رجال يرون الذل عاراً وسبة
ولا يرهون الموت ، والموت مقدم

وفي قصيدته (الى الطاغية) يقول :

يقولون : صوت المستلذين خافت
وسمع طواغيت التجبر اضخم

وفي صيغة الشعب المسخر زعزع
تنحر له شم العروش وتهدم

اذا التفت حول الحق قوم فانه
يصرم احداث الزمان ويبرم

لقد رثي الشابي حال وطنه دون ياس بل واثق
بالمستقبل الذي سيرد لبلاده مكانتها فقال في قصيدته
(تونس الجيلة) :

لست ابكي لمصف ليل طويل
او لربيع غدا العفاء مراحه

انما عبرتني لخطب ثقيل
قد عرانا ، ولم نجد من اذاحه

كلما قام في البلاد خطيب
موقظ شعبه يريد صلاحه

اخذلوا صوته الالهى بالمصف
، اماتوا صراحة ونواحه

هكذا المخلصون في كل صوب
رشقات الردى اليهم متاحه

انا ياتونس الجميلة في لـج
الهوى قد سبحت اي سباحة

ضيع الدهر مجد شعبي ولكن
سترد الحياة يوماً وشاحه

وفي جانب آخر انب شعبه تائب اللائم واستنهض
همته في قصيدته (يا ابن أمي) فيقول :

خلقت طليقاً كطيف النسيم
م وحراً كنود المحي في سماء

فمالك ترضى بذل القيـو
د ، وتحني لمن كبلوك الجباه

الا انهض وسر في سبيل الحياة
فمن نام لم تنتظره الحياة

وللشابي قصيدة رائعة تزرع فيها الشعب وهي
(النبي المجهول) وفيها يقول :

ولعلها موجة الى الاستعمار الذي يخنق الشعوب
الضعيفة ، انها قصيدة طويلة يقول في بعض أبياتها :

الشاعر الشحورود يرقص منشدا
للسمس فوق السورد والأعشاب

شعر السعادة والسلام ونفسه
سكرى بسحر العالم الغلاب

ورآه ثعبان الجبال فتمسه
مافيه من مرج وفيض شباب

ثم يقول :

فلتشهد الدنيا التي غيتها
حلم الشباب وروعة الاعجاب

ان السلام ، حقيقة مكسوبة
والعدل فلسفة اللهب الغابي

لا عدل الا ان تعادلت القوى
وتصادم الارهاب بالارهاب

كما للشاعر قصائد في الغزل ، انا ضربت صفحا
عنه ايضاً كما في غزل طوقان ، واستمرعت شعره
القومي .

لقد نظم الشاعران العديد من القصائد مع قصر
عمرهما وبالرغم من شدة الآلام المبرحة التي لازمتها
بل بالرغم من متاعب الفكر والمضايقات والتجديبات
التي واجهتهما ، وقد اكسب الله هذين الشاعرين
المعاصرين عبقرية فذة تذكرنا بعبقرية الشاعر طرفه
ابن العبد الذي نظم الشعر صفراً وقتل في السابعة
والعشرين من العمر او دون ...

ان الشاعرين قد اعطيا الامة العربية نفحات قومية
معبئة بروح الجهد وعمق الفكر والبصر النافذ والاحساس
الواعي ، اعطيا عواطف دافقة بحب الوطن ، وطوقان
نظم على الاستعمار الانجليزي والصهيونية والشابني
على الاستعمار الفرنسي . ولئن كان الاستعمار يحاول
فرنسة تونس وما احتله من شتاتي الفريقية فقد قدر
الله بارادة الشعب ان تسال تونس استقلالها ، أما
الشعب العربي الفلسطيني فهو ماض في كفاحه وتوثوره
مستمرة في النضال والتضحية وبإذن الله بعودة
القدس عاصمة مقدسة لامة العرب والمسلمين لها وحدها
الشاملة من المحيط الى الخليج .

■ فوزي علي رضا النحوي

في صباح الحياة ضيخت اكوا
بي وارتعتها بغمرة نفسي

ثم لفتتها اليك فاهرق
ت دحقي ودست يا شعب كاسي

ليت لي قوة العواصف يا شعر
بي ، فاللقي اليك ثودة نفسي

هكذا قال شاعر ناول الشعب
، دحيق الحياة في خير كاس

فأشاحوا عنه ومروا غضابا
واستغفوا به وقال ياس

قد اضاع الرشاد في ملعب الج
ن فيا يؤسه اصيب بمس

واذا كانت هذه القصيدة قد رفعت به الى مستوى
الشهرة وهي قصيدة طويلة ، فقد غنى الشاعر الانسانية
بقصيدة خلدت الى الابد ألا وهي (ارادة الحياة) فقد
غناها الشعب وترددت على كل شفة ولسان لانها كانت
وما زالت درسا في الوطنية والقومية والتي مطلبها :
وما زالت درسا في الوطنية والقومية والتي مطلبها :

اذا الشعب يوما اراد الحياة
فلا بد ان يستجيب القدر

انها نشيد قومي تصور عبقرية الشاعر التي تدفع
الشعب دفعا الى الطروح في الحياة وكفاحها ، والعلوح
في سبيل أمته وبلاده .

وهناك قصيدة في الطبيعة والانسانية والقومية
وهي (أغاني الرعاة) وقد نظها في مشاهد رآها
وعاشها وهو يستشف في شمال جبال تونس الخضراء
وقد درسها الشاعر السويدي كارل ألوف سفننغفنغ
شعرا الى اللغة السويدية وهي قصيدة من الرباعيات
يقول فيها :

اقبل الصبح يفني للحياة التاسعة
والربى تعلم في ظل الفصول المائسة
والصبا ترقص اوراق الزهور الباسية
وتهاذي النور في تلك الفجج الدامسة

وللشاعر قصائد كثيرة جداً تتم عن شعر وجداني
وعذوبة وموسيقى وألم واندفاع وطني منها قصيدة
(النعنان المقدس) وهي قصيدة فلسفية تدور قصتها
محاورة بين ثعبان وشحورود وتتل القوي والضعيف

الأمل الأخضر

محمد العيد الخطراوي

واخفتني دياجيه
يئن على حواشيه
يخفف ما أقاسيه
يبدد ظلمتي فيه
وذابت في اغانيه

إذا ما أقبل الليل
وراح ما أقبل منتحرا
فلا لحن ولا وتر
ولا نجم ولا قمر
ذكرتك فانتشت روحي



شعاع البدر في ومق
ويأثم جبهة الغسق
عيون الزهر والورق
وعرش النور في ألح
فاحمد نعمة الأرق

وحين يدب في الأفق
يضم غلائل السحر
ويفضح ما تخبئه
فمش الزهر في عبق
أشيم سناك منبعثاً



وانسام الصبا تسري
ن موجات من العطر
على افئنه الخضر
بيلسم لحنه العذري
فيخصب بالمني عمري

وعند مشارف الفجر
بانفاس الشذا الريا
وصوت البلب الشادي
يضمء بؤس ايامي
ألوء بصوءك الحاني



ومات بهءبها الأمل
بصدر الغيب تعمءل
جراح اليأس تشتعل
تلوح كأنها طلل
جراحي وانتشئ الأمل

وان شطء بي السبل
كما ماتت معاورة
وراحت في جوانبها
واشواقي ممزقة
ذكرت هواك فالتأمت



حنيناً مفرط اللءء
رأتك بسالف الأمد
بعاءك فهي في كمء
فما تلوي على أءء
سأسعد فيك للأبء

عرفت هواك في كبءي
كان الروح مء خلقت
فما فتئت يؤرقها
وتشقيها بواعشه
لئن اشقيتني زمناً

بَيْنَ الْأَدَبِ وَالثَّقَافَةِ

بقلم: الأستاذ محمد حسين عواد

في التفريق بين حقيقتيهما من كان يسير في سبيل تفهيمهما على غير حق ، أو على غير وعي ، يكشف له مواطن التشابه والاختلاف بين مفهوم هذه ومفهوم ذلك .

فكان معظم الكاتين في وصف الثقافة ووصف الأدب وتعريفها ، من الذين استعرضوا تاريخ حياتنا الفكرية الى ما قبل سبعة عقود من الزمن يعتبرون كل مثقف ادبيا ، ويصفون كل متكلف لصناعة الكلام أو مزوق لها ، في صنف الموهوبين ، ويطلقون على كل من يملك قوة الثروة يقتحم بها كل أفق اسم « مثقف » .

وكانت الحدود مطبوسة بين مفهوم الثقافة ومفهوم الأدب ، وبين معالم الفكر ومعالم الفن ، وبين التخصص والمعرفة الموسوعية ، وبين الباحث على بصيرة ، وحاطب الليل .

كان هذا حتى وثبت العقول العربية منذ سبعين عاما بفضل التقنية العامة ، وثبتة أننا بفهمها ، وشاركتنا في انبائها ، وقلنا عنها : انها حياة جديدة لحضارتنا العربية العقلية تنبع من بلادنا ، لا من خارجها ، وتفتح على آفاق واسعة من الفهم لم يكن ظهور البترول عندنا هو المسبب لها ، كلا ، وإن كان لها بمثابة الورد يفرش في طريقها لتضي عليه مننشة عطرة سائرة بين أضواء ومشجعات ومغريات بالسيرة المطمئنة الصادقة المحترمة الآمنة قلنا عنها : انها هي : « الوثبة التي كانت لنا بمثابة الألهام هددتنا الى ان تقدر القيم العقلية والقيم الروحية والقيم السلوكية حق قدرها فنستخدمها صغارة انذار تهتف في اعماقنا : « من لم يشس يندثر » ، ومن

من الحسنات التي تحسب للخبرة بأصول التطبيق العلمي ، والخبرة بأصول الممارسة الدقيقة بين الأمور المتشابهة ، لا في مجالات الصناعات والفنون فقط ولكن حتى في المجالات الفكرية والنظرية ... تلك الخبرة التي تسمى « التقنية » أو التكنيك ، أو التكنولوجيا العامة .

من حسنات هذه الخبرة انها غيرت المفاهيم التي كانت مختلفة ومتداخلة ، وكانت تجعل المرء في حيرة من أمره ، وفي قلق من موقفه نحو تحديد الأفكار والمفاهيم والمضامين الفكرية التي يحتاج الى تحديدها ليهتدي الى استيعابها وتصورها بشكل تطبطن له نفسه كل الاطمئنان .

التكنولوجيا تغزو بلادنا

لقد دب دبيب هذه التكنولوجيا العامة في عالمنا العربي ، وأخذ طريقه الى الرضوح والافتقار مع مطلع هذا القرن العشرين الميلادي ، أي في أوائل الربع الثاني من القرن الرابع عشر الهجري تقريبا .

ومشى هذا الدبيب في أذهان المفكرين ، والفنانين والمتفكرين ، فأخذت الأشياء العقلية عندهم تجري في مجاريها الطبيعية دون غمغمة ، أو تجاوز ، أو موازنة .

ومن المجالات الهامسة التي سلطت عليها أضواء التكنولوجيا العامة : المجالات الأدبية ، والمجالات الثقافية ، ومجالات الفنون . وهكذا أعطى العصر المشار اليه مفاهيم دقيقة ، ومحددة لكل من الأدب والثقافة - مثلا - وهما المجالان المتداخلان ، اللذان سبق أن مثل

« عاش لنفسه خسر نفسه وخسر من حوله من معاونين » ،
و « من أدار وجهه الى خفغمو ماشر في الطريق يرتطم
بالمحركات » ، بكل المحركات التي تخلق الارتكاس في
حياة الأفراد والجماعات ، هدتنا هذه الوثبة الى فهم
الحق والعدل والأخلاص وانفسنا ولول حولا ، والتسامح
والأخاء والحرية والكرامة والعمل السليم ، فهما صيحيا
استهدينا فيه فطرة الله التي فطر الناس عليها ، بدلا
من ان نستعطي التقاليد المتخثرة التي ما أنزل الله بها
من سلطان ، واستشرنا فيه ذواتنا ، وواقنا ومصيرنا
وحكمة الحياة ، بدلا من ان نستشير الإلهام والعصبيات
والأنانية ، والمخاوف ، والمصالح الرخيصة الخائفة .
ان هذا الحشد الذي قالوا لنا عنه من القصائد
والأمثال والخطب والرسائل ، والمعلومات التاريخية
المختصة بالعرب القدما ، هو في حقيقته حشد يمثل
ضروبا من المعرفة الذمنية العامة . فالدنن يستوعب
هذه الأشياء ويحتويها كما يحتوي ويستوعب
غيرها من ألوان الثقافات الأخرى من اللغة والشعر
والقصاصة ، وإن الدنن الذي يحتوي هذه الأشياء
ويعرفها ، ويقف عندها لا يتعداها الى غيرها من فروع
الثقافة أو من امتصاص فروع أخرى في مجالات مختلفة
ثم يشعر بأن مهمته الأدبية انتهت ، هذا الدنن لم
يكن يوما ذهن أدبي وأنا هو ذهن متقف ، والثقافة
- في رأينا - غير الأدب . . . الثقافة مهما تعدد
مذاهبها . ومهما تتلون فروعها ، ومهما تتوالد وتتسع
في الأذهان لاتخرج عن عملية عقلية نسيها عملية الهضم
والاحتواء . ولكن الأدب ليس كذلك ، الأدب ليس
امتصاصا ، ولا هضا ، ولا احتواء ، ولو حفظ الإنسان
كل قواميس اللغة ابتداء بكتاب العين للخليل بن أحمد
الغراهيدي وانتهاء بقواميس المنجد والرائد والمعتمد
من وضع لغوي العصر الحديث .

اذ استعطق الغاري ، احدث كتب الأدب القديمة
ليتعرف منها على تعريف الأدب وجد تلك الكتب تكاد
تجمع على ان الأدب هو الأخذ من كل شيء بطرف ، وهم
يريدون بهذا التعريف ان الأدب هو حفظ قصائد معينة
من الشعر ، ونصوص معينة من خطب البلغاء ورسائلهم
ثم الألام بالتاريخ وقصص الحروب العربية في زمن
الجاهلية ، وهي التي يسمونها « أيام العرب » . وحفظ
طائفة من الأمثال ، ومعرفة قواعد النحو والصرف
والإطلاع والتأثر بأساليب البيان العربي وإشارات
اللغة العربية في كتاباتها والمغازا .

هذا هو التعريف القديم للأدب وهو كما يرى أدباء
العصر الحديث غير صالح لأعطاء الفكرة المتكاملة للأدب
وليست عناصر لتحقيق جوهر الأدب . بل ربما كانت
أقل الوسائل شأنا ، فهناك وسائل أكثر منها أهمية
مثل الإبان بصلة الأدب بالحياة ، والطبيعة والكون ،
لا بصلته باللغة فقط ، وقد جر هذا الفهم قماءنا الى
ان يقولوا أيضا ان الأدب من علوم اللغة ، وليس هو
كذلك في واقع الأمر .

التعريف الصحيح

اذن ماهو التعريف الصحيح للأدب ، ماهي طبيعته ،
ماحقيقته ، وما مكانة في الحياة البشرية ؟

الأدب عطاء وإنتاج وإرسال وتأثير وخلق وإبداع ،
انه بالاختصار عملية تصوير وتغيير وتوعية وهدم وبناء
وتجديد وتطوير ، وإثراء . . . لا عملية احتواء
وامتصاص للمعلومات فقط .

بين القديم والحديث

مفهوم الأدب في الماضي لا يختلف مع مفهوم الثقافة
(وهو مجرد التحصيل) .

ثم تبنو ما تأخذ وتنسخه ثم تقدمه عطاء حسناً جديداً
يستهي العقول والقلوب .

الادب في المفهوم الحديث



كان الأدب في العصور الوسطى ، وعلى إحساس ذلك
التعريف القديم الذي يزعم انه الأخذ من كل شيء بطرف
ثم يقتصر على هذا ويصمت ، كان يراد منه أن يكون
حلية أو معرضاً من معارض الزينة لمجرد الزخرفة
والديكور . أما الآن فالأدب مصنع للأفكار ، والعواطف
الصادقة . كان دمية صماء يبعث بها الصبية والسادرون
أما الآن فهو قائد موجه ينبه النفوس الخاملة ويردع
العاشقين لأنفسهم فقط ، كان قنديلا هزليا خافساً
يبيصص بما فيه من وسخ الزيت ، أما الآن فهو كشف
كبير يبعث أضواء بقوة مجرية ...

ومن هنا فإن الأدب في مفهوم العصر الحديث رسالة
اجتماعية واضحة والأديب الحقيقي هو من يحل هذه
الرسالة ليقدّمها للحياة والأحياء عواطف وأفكاراً تحل
ضياءً إنسانيين ، ويزاداً للمسافرين ، وبنوداً للزراعيين
وأغناماً للكتّابيين وغذاء للجوعى ، ودواء للمرضى ،
وشرباً للطاش .

هذه الخلاصة هي الرحيق الأفضل للمفهوم الأدبي
الحديث .



أما رحيق الفرق بين الأدب والثقافة فهو أن الثقافة
امتصاص واحتواء للمعلومات فحسب ، وأما الأدب فهو
بلورة وعطاء يتناول الأشياء فيحولها الى معان فكرية
جديدة تؤثر في حياة الناس كرسالة واجبة الاداء .

والثقافة تأخذ من الحياة واستيعاب لهذا المأخوذ .
والأدب اخذ وعطاء وتأثير ... أخذ من الحياة
وعطاء للأحياء ■

ومن هنا يفترق الأدب والثقافة في المفهوم الحديث
كما اشرنا الى ذلك . فنحن مثلاً عندما نجتمع الى
إنسان يحوي هذه المعلومات الواسعة مع معلومات أخرى
قد تتجانس معها ونستمع اليه فيرونا علمه واستيعابه
نستطيع أن نقول عنه انه شخص مثقف أو عالم ،
وعمتلم ، وكفى .

ولكن عندما نتعرف على آخر ينقل تفكيرنا من أفق
الى أفق ، ويغير اتجاهنا بما يطعمه في نفوسنا من تصور
جديد لحياتنا ، وفهم مختلف للقيم أكثر انطباقاً على
حقائق الكون ، واقترب صدقاً مع النفس نقول عنه انه
أديب لاسيما اذا أدى اليها هذه العملية في بيان جذائب
مفتن قادر على التأثير .

هذا وصف شامل لحقيقة الأدب يقرب اليها مفهومه
في العصر الحديث . نعر من هذا الوصف الى صياغة
لتعريف الأدب ، في مفهومنا الحديث ، فنقول ان الأدب
باقتصر عبارة ، هو حسن التنازل للأشياء ، ونيس هو
الأخذ من كل الأشياء بطرف .

« التناول الجيد لموضوعات الحياة » تناولاً عملياً
عيقاً وصوغ هذه الموضوعات في قوالب مؤثرة من
الكلام السليم والجميل ، وتقديبها للمشرية تقدسياً
صالحاً يمكنها من التفاعل مع النفوس المتلقية .

ويرتكز هذا التعريف لمفهوم الأدب في نقطتين
أساسيتين هما :

اجادة التناول للأشياء .

وتقديبها عطاء مؤثراً للإنسانية .

ومن هذا المطلق يسمو الأدب على الثقافة بهاتين
الخصيصتين : خصيصة احسان التناول ، وخصيصة
اعطاء المتناول الحسن .

فالادب عمليات متحركة متسلسلة تأخذ من الحياة

البطل..



البطل في الملحمة يختلف عنه في المأساة .. لماذا ؟
بطولة المتنبي مأساوية .. رغم جوها الاسطوري ..
القلق النفسي .. والزمان والصراع .. الى أي مدى !!

انه يذكرنا بهذه الطائفة من عرب الجاهلية الذين كانوا يسبقون الخيل في سرعة العدو ، ويقتلون وحش الصحراء ، ويعرفون مداخل الصحراء ومحارجه ، ولا يغزون الا في الليل وفي الصيف أثناء رحلات القوافل الى الشمال ، حيث يبلون بضع النعام بالمال ، استعدادا لهذا الوقت ، ويدفونه في اماكن يعلمونهاهم يسرون كالجن يفعلون الافاعيل .. ولكن المنعش هنا انه يفعل الخارق ببساطة شديدة كأنه يقوم بأمر عادي : « ومطالب فيها الهلاك أتيتها ، ثبت الجنان كأنني لم آتها » .

وحين تجتمع الشجاعة الخارقة مع الجرأة على القول الفذ ، يتحدد البعد الأول في سلوك البطل ونهجه :

انا الذي نظر الاعمى الى ادبي

واسمعت كلماتي من به صمم

فالخيل والليل والبيداء تعرفني

والسيف والرمح والقرطاس والدم

المأساة ، وربما كان اهم فارق هو انتصار بطل الملحمة ، وهزيمة بطل المأساة . فهو يقوم بثور الطموح الانساني ، وقد تكون لديه امكانيات الانتصار ، ولكنه يدخل في صراع ضد قوى اخرى غاية يسقط بعدها مهزوما - نتيجة خبطة يرتكبها من الخطايا السبع ناهما كما حدث لآوديب في مسرحية سوفوكليس ، وبطلونة المتنبي من هذا النوع المأسوي ، وان احب ان يضفي عليها جوا اسطوريا .

وشخصية البطل عند المتنبي تتلخص في الخارق والمدهش . انه يشبه أبطال الاساطير ولكنه بطل عربي قادم على ناقة مسح عصف الرياح ، فهو الفارس الخالق الذي يظهر حين ينزوي اناس ، وهذا التفرد هو الذي يعطيه المفهوم العام للبطلونة لان العادي مناقض للخارق وتزداد الفكرة الاسطورية تكاملا حين تراه « أسد القلب آدمي الرواء » وأفعاله خارقة هي الاخرى : « بصارمي مرتد بمخبرتي ، مجتري ، بالقلام مشتمل » .

كان « بروميثيوس » قد سرق النار - كما جاء في الاساطير اليونانية - ليضيء حياة البشر ، لانه يمثل قصة الطموح وضرورة التغير . وقد تكون اسطورة نيائية كما يرى بعض المفسرين تطل على بداية استخدام الانسان للنار وتحويله الى آكل للحوم ولكن المهم ان القدر سلط عليه نوعا من العذاب - العقاب ينهش كبده - دهرًا طويلا ، انها ضريبة التحلي والطموح احيانا .

وعند العرب أبطال تحولوا عبر الزمن الى اساطير ملحمة مثل عنترة ابن شداد . البطل الذي كان يدافع عن مبدأ ، وعنترة كان يجاهد ضد فكرة التفرقة العنصرية ، لم يرض الواقع واحس ضرورة تغييره ، ولم يكن له سند سوى شجاعته وسيفه الذي استطاع عن طريقه ان يشق طريقه وان يفرض وجوده في المجتمع وان يعتق ذاته ، فتحول الى بطل اسطوري عبر تاريخ الاضطهاد الطويل .

وبطل الملحمة يختلف عن بطل

وَأَبْعَادُ الْبَطُولَةِ

فِي شِعْر

الْمُتَجَبِّ

د. ماهر حسن فهمي

« وأسرى في ظلام الليل وحدي »
وهنا يمكن أن نتصور البطل وحيدا
مستوحشا يتخبط في الظلام وتخبطه
يشير انفعالاتنا ، ولكنه يفاجئنا في
السطر الثاني بقوله : « كأي منه في
قمر منير » فننتلف أنفاسنا .

البعد الثاني للبطل هو المكان ،
والمكان مجال الحركة ، ولكن حركة
البطل غير محدودة ، وبالتالي فهو
يضيق به .

ومن الطبيعي أن آراء العظماء
لاتعرف المكان المحدود . بمعنى أنها

هو لا يصلها ، ولكنه يطلب منها أن
تصله - لاحظ وصلينا بدلا من
وصليني - فتضخم « الانا » عنده
واضح وضوحا قويا . وأسلوبه في
عرض المدهش أسلوب عجيب هو
الآخر . فهو يقول : « ولا اظن بنات
الدهر تتركني » فتتعلق الابصار بهذا
البطل الذي تحاصره المصائب ونشفق
ونعاطف معه ، فإذا اشتد الموقف
فاجأنا قائلا :

« حتى تسد عليها طرقها همي »
وهكذا يفلت من المطاردة ويسوق أمامه
النكبات . وكذلك قوله :

صجبت في الفلوات الوحش منفردا
حتى تعجب من القود والاكمل

اننا دائما نتصور البطل كأننا
غريبا ، بمعنى أنه أقوى منا وبالتالي
فليست فيه كل نقائصنا ، اننا نمتطف
بأمالنا اليه وقد نتقص شخصيته
ولذلك يفزعنا أن نجدد يضعف في
موقف من المواقف . والبطل هنا قد
يعرف الحب ، ولكنه يبقى دائما
صلبا :

زودينا من حسن وجهك مادام

فحسن الوجوه حال تحول

وصلينا نصلك في هذه الدنيا

فإن المقام فيها قليل

تجاوزوه الى غيره . وانعزسي منذ الجاهلية تعود انتقل من مكان الى مكان ، فالحركة هنا أيضا جزء من ميراث اصيل وطويل . فالمتنبي ضيق بالمكان كثير الترحال ، جوال باحث عن الاصل العريض ، انتقل من العراق الى الشام ، ومد جناحيه عليهما ، ثم خلق بعيدا قطار الى مصر ثم الى فارس ، وود لو خلس من أسر المكان فهو أشبه بشهريار الجديد في مسرح الحكيم :

**خيلي ماهذا مناخا لثنا
فشدنا عليها واحسلا بنهار**

تري أين اذن المناخ الهذي بيبيه ، ومتى يلقى عسا التسيار ؟ انه رمز للرحلة الابدية التي لا شاطئ لها :

**كأنني من الوجئ، في متن موجة
ومت بي بحارا ماله من سواحل**

وعدم استقراره نفسيا هو الذي يدفعه الى عدم الاستقرار في المكان، حتى اصبح ظهر الناقه مكانه المفضل:

**الفت ترحلي وجعلت ارضي
قتوني والفريري الجبالا**

**على قلق كان الريح تحتي
اوجهها يميناً أو شمالا**

ان الصراع بين الانسان وبين المكان صراع أزني . تشرى هل يستطيع الانسان ان يخلص من أسر المكان ؟

والى أين ؟ ان كروية الارض تدفعنا دائما الى العودة لنفس المكان . ولكن المهم الا يقع البطل اسير لعمود مكانية ضيقة تعوق حركته وتشل طاقته ، بمعنى ان المكان سبيل الى

الهدف والدف دائما متحرك ، فنحن نعود وراءه في صراعات الدائب حتى لو عدنا الى نفس المكان مرة ومرة .

ومن العجيب ان نجد شاعرا مصرية - ظافر الحداد - يرحل من الاسكندرية الى القاهرة وراء لقمة اميش ، فيظل طول عمره يبكي الاسكندرية ، ويود

العودة اليها . فهذا يعقد به الحنين

المنذر عن الاستمتاع بالحياة ، مع ان مفهوم الوطن باني معنى من المعاسي لا يبدن ان يكون على هذا النحو .

لا شك ان طبيعة البيئة الزراعية تخفف عن طبيعة البيئة الصحراوية أو الجبلية ، فالاولى تربط الانسان بالارض كأنه شجرة من اشجارها واثانية تدفعه الى الرحلة وراء المرعى والخصب ، وبن الانبساط حتى يبيح البيئة الزراعية يتجاوز حدود المكان . واذا كان ظافر الحداد قد

يلى حين ترك الاسكندرية فان المتنبي يعصى على المكان ويعجز بفقره على تجاوز حدوده .

بني بلاد لم ألم فؤايتي

وأي مكان لم تها ركابي

حتى يبلغ به الامر ان يقول : «دي محل ارتقي ، انه احساس بالانتصار على المكان ، وان الدنيا على سمعتها تضيق عن طوحه وتطوافه ، ويطمح في الصعود الى الكواكب .

**ويجمل ابي مالنا الأرض مصر
واسي على صهر السماءين واجن**

محاولة بمتعدد خارج المكان من اجل عدله وحده ليبره المجد، وليس الامر هو الرحلة في حد ذاتها ، ولكنها وسيلة الى اهدف العظيم أو الفعل المصمم .

لولا العلاء لم تجب بي ما جوب بها

وجئنا حرف ولا جردا . قيلود

والبعد الثالث هو الزمان . وموقف المتنبي من الزمان مثل موقفه من المكان فهو في صراع دائم ضده ، صراع لا هوادة فيه . ترى هل يمكن ان ينتصر البطل على الزمان ؟ ان

الفريقين القدماء حاولوا ذلك وأبوزرريس رمز للعودة المتجددة الى الحياة والانتصار على الزمن ، ولكن اهل الكهف في القصص القرآني،

يرمزون - في تفسيرنا المعاصر - الى انتصار الزمن ، هل يمكن اذن مصارعة

الزمن ؟ وبأي سلاح ؟

**ولو برز الزمان الى شصا
لغضب شعر مفركه حسامي**

**وما بلغت مشيئتها الليالي
ولا سارت وفي يدها زمامي**

الزمان لا يتقصص صورة الاشخاص ، فانصراع هنا بين البطل وبين شبح غير مرئي ، ولكنها محاولة من البطل للأفلات من قبضته ، وسلاح الإرادة والصبر انطرب :

**انطاعن خيلا من فوارسها الدهر
وحيدا ، ووافوني كذا وهي الصبر**

ما زالت ملحمة الصراع مستمرة ، وهي معركة ضارية ، يحاول فيها البطل ان يروض قوة غلبة فهل يستطيع ؟

**اعطي الزمان فما قبلت عطاؤه
واراد لي فأردت ان اتخير**

لقد لخص في هذا البيت موقفه من قضية الجبر والاختيار ، وما دامت له ارادة كما قرر المتملذ من زمن ، فهو يستطيع ان يقبل أو ان يرفض . واذا كان المتنبي قد حاول ان يخترق حاجز المكان من قبل حين قال :

**فشرق حتى ليس للشرق مشرق
وغرب حتى ليس للغرب مغرب**

وحين قال متصورا أنه انتصر على المكان : «وعنديك الشرد السائرات لا يختصن من الأرض دارا ، ، فقد حاول كذلك ان يخترق حاجز المكان : «وتركك في الدنيا دويأ كأنها ، تداول سم المرء انبله العشر ، ثم يتصور انه انتصر عليه :

**وما الدهر الا من رواة قصائدي
اذا قلت شعرا اصبح الدهر مشدا**

انها محاولة اخرى للاعتداد خارج الزمان ، فالدي الذي يصم الآذان وبهلا الدنيا هو دوي الدهر السليدي يروي شعر المتنبي ، يشرق بروايته ويفسر بانشاده ، هذا الاختراق لطايز المكان وحاجز الزمان هو مضمون التغلاد وجوهره .

عزيز أباطة

ثروت أباطة

لعل الشعر هو أصعب الفنون الأدبية - فإن لم يكن أشاعر سامتا قوى الديباجة حلو الجرس يصل شعره الى قلوب مستقبلية فيهذه ان ثم يكن فهو ليس شاعرا .

في الرضاعة حتى اصبح هو مديرا واصبحت هي أم ابنتيه وابنه .

عضوا بمجلس التسواب ومجلس الشيوخ .

حينئذ وجد عزيز أباطة انه لاملجأ له الا شعره فاذا هو يفاجئ. الناس بديوانه « انات حائرة » يفورده لزوجته فيصبح الديوان الاول من نوعه في الشعر العربي . وفي غمار هذه الاحزان يجد عزيز أباطة ان الشعر أنفذه من نفسه ، فيلقى اليه نفسه، وينظر الى الطريق الذي قطعته شوقي في الرواية الشعرية فيجد الطريق مهجورا طار عنه هزازه وجفاه رواه فالمرح الشعري خاير تقوضت أركانه وأسدل عليه الستار وبقي الاساس الذي أرساه شوقي .

وعزيز أباطة قال الشعر وهو طفل، ولكنه كان يقوله حسنا لا يقضى به الا الى الخاصة المقربين - فلم يكن احد يعرف عنه انه شاعر الا اقرباؤه واصدقاؤه ، وكانت حياة الوظيفة والحياة السياسية تشغل معظم وقته . فالشعر عنده ظل لفترة طويلة من حياته متعة التي يلجأ اليها من متاعب الحياة .

حتى كانت المفاجعة التي أصابه بها الدهر في يونيو سنة ١٩٤٢ حين انتقلت الى رحمة الله زوجته وابنته عمه وأم اولاده وحب حياته جميعها منذ هما طفلان على ضفاف مويس

ولذلك نجد الناطقين كثيرين ، لكن الشعراء قلة . وعزيز أباطة من هؤلاء الشعراء الذين استطاعوا ان يحفظوا للشعر العربي الاصيل برواقه الاخاذ في لفظ شريف مختار جميل وفي صياغة عربية رفيعة وفي جرس فني غني - فقصائده كأنه مواكب من الفن الادبي ومن الاحساس الشعري .

هو من مواليد ١٨٩٨ بمدينة الزقازيق وقد تخرج في مدرسة الحقوق عام ١٩٢٣ ، وقد عمل وكيلًا للنائب العام فمديرا لتحقيق الشخصية فوكيلًا للمديرية فمديرا بعدة مديريات كان آخرها مديرية اسيوط . كما انتخب عدة مرات

فكتب عزيز اباظه مسرحيته الاولى « قيس ولبنى » ولقيت نجاحا هائلا من النقاد والمشاهدين على السواء فسار طريقه واكمل مايداه شوقي وشيد الصرح على الاساس فكانت رواياته « العباصة ، الناصر ، شجرة الدر ، غروب الاندلس ، شهریار ، اوراق الخريف ، قافلة النور ، قيصر ، زهرة » .

وان كان شوقي لم يستطع ان يتخلص من الشاعر فيه ، وهو يكتب مسرحياته فان عزيزا استطاع ان يتذكر دائما انه يكتب للمسرح . فنحن لاهرى مثلا القصائد الطويلة التي كان يكتبها شوقي في مسرحياته حتى ليظل المثلون واقفين فترات طويلة صامتين لينتهي الممثل المنشيد من القاء قصيدته الرائعة ولكن الطويلة ايضا . ولا شك اننا نلتبس العذر لشوقي فان المسرح عنده كان في الدرجة الثانية وكان المهم عنده هو الشعر وقد كان الاستطاد الشعري يستهويه فهو يوغل فيه غير ملفت الى مقصيات المسرح . اما عزيز اباظه فقد استطاع ان يكبح جماح الشاعر في نفسه ويجعل المسرح مسرحا وقسي نفس الوقت استطاع ان يحافظ على الصياغة الشعرية الساحقة والجرس العربي الانيق . كما استطاع عزيز اباظه ان يتعمق في البناء المسرحي فمسرحياته ان تخلو عنها الشعر ظلت مسرحيات رائعة تستطيع ان تقوم بموضوعها وبنائها وانكارها كاعظم المسرحيات في الادب العربي .

وقد استوحى عزيز اباظه التاريخ في اغلب مسرحياته ثم هو يضفي على هذا التاريخ افكاره السياسية وآراءه . فالتاريخ عنده وسيلة يلقي بها ما يريد او يقول .

وقد راد عزيز اباظه بالمسرحية الشعرية ميدانا جديدا فهو يكتب مسرحيته « اوراق الخريف » زهرة تدور احداث كليهما في الزمن الذي نعيش فيه وقد طوع شعره المعروف بالعروبة والجرس اللفظي الضخم لمقتضيات الزمن الذي تدور فيه احداث الروايتين فاذا هو شعر سهل سلس يكاد ان يكون حديثا يجري في الصالونات مع رنين التليفون وكلاكس السيارات . واحداث رواية « زهرة » تعتمد في اساسها على فكرة فيلدا ، وان كان عزيز اباظه قد خلق لها شخصيات مصرية واجرى احداثها في البيت المصري .

كما قام بمحاولة شعرية اخرى لم يسبقه اليها احد في المسرح الشعري العربي فقد كتب مسرحيته « قيصر » نظرا الى مسرحية شكسبير جامعا فيها بين الترجمة والخلق .

وقد اهتم عزيز اباظه غاية الاهتمام بالانسان في مسرحياته فهو يتعمق في دراية واسعة به وفي تعاطف عظيم مع شغفه وامله والامله ولعل عزيز اباظه من اكثر الفنانين تفهما لضعف الانسان فنجد يده

تربت دائما كف المخطي . في حنان وبر ونفس شاعرية صافية والعجب انه جعل هذا التعاطف يتساو مع شعور ديني عميق يملأ عليه جوانب نفسه فخاله عنده هو الرحيم الغفور الودود الرحمن والدين عنده وهو هذه الاشارة السخية التي تغتفر للبشرية وتقدر عذاب الانسان في معاشة الحياة .

وعزيز اباظه من هؤلاء الفنانين الذين يعيشون حياتهم بكل ما فيها من خلجات فهو يتعمق اللحظات في حس مرهف وطبيعة معاوية وملاحظة دقيقة لكل الثغرات البشرية التي تمر به وهو بعد ذلك ذو ذاكرة واعية فانت تجد اثر هذا جميعه في شعره المسرحي وفي تحليله لشخصاته التي يقدمها اليك .

ولم يكتب عزيز اباظه بالرواية المسرحية وديوانه الغريد بل يعيش حياة بلاده فلا تمر مناسبة سياسية الا واجهها عزيز اباظه بنفسه كما لاتمر مناسبة اجتماعية كبرى الا تصدى لها فهو يعيش عصره بكل جوانب هذا العصر .

وهو مع حفاظه على القيم الثابتة في التراث الانساني شديد التحرر مستجيب لكل جديد يرى فيه تطورا يؤدي الى الاحسن واسع الانقي في هذا الظهور سعة لافكار نعرفها الا في الندوة النادرة من ابناء جيله .

فنون

القصة

في

المملكة العربية السعودية

اجتماعية واصلاحية . الا انها دخلت في الأدب السعودي حاملة اخلاق المجتمع الجديد وقيمه الدينية وحياته المتطورة ، تحمل بين تضاعفها طابع الوعد أو اثارة النهضة والعجب أو الاحتجاج على تقاليد بائدة ، أو التنديد بعمادات بالية ضارة انتصارا للخير والفضيلة اللذين يؤمن بهما المجتمع السعودي . وهذا ما يوضح فن القصة في المملكة العربية السعودية منذ بداياته في باب الالتزام الأدبي وتطبيق مقولة « الفن فني خدمة المجتمع »

القصة بمعناها الحديث ، جديدة في الأدب العربي ، تعود بداياتها الى أوائل القرن ، على يد رواد هذا الفن في مصر العربية ، ثم تعاقبت التجارب وأغنيت حتى أصبحت على ما هي عليه اليوم من تقديم ورفي .

والقصة كشكل من الأشكال الأدبية في المملكة العربية السعودية فن حديث النشأة . بدأ مع نشوء الصحافة والمجلات على الأرض السعودية مزاحا للفن الشعري العتيق .

والتأريخ لبدايات فن القصة في أدب المملكة العربية السعودية بصورة دقيقة يكاد يكون ضربا من الوهم ، لأنها قلنا أنه بدأ على صفحات الدوريات من صحف ومجلات إبان بواكيرها ، وهذه البواكير قد ضاع معظمها ، ويعتبر الباقي في حكم الضائع أيضاً ، ولكننا نؤكد أن أقدمها لا يعود أوائل الحرب الكونية الثانية . ثم راحت بعد ذلك تشق طريقها بين سخط المشائين وتصفيق المشجعين ، وارتضت القصة لنفسها أن تحتجى بمواضيع

وهكذا اندمجت القصة فني طريقها حتى قبض لها سيادة الألوان الأدبية ، وأعمال ذكر ما عداها ساعدها على اجتياز أشواك الطريق الطويل تبنيها للقيم الفكرية والاجتماعية التي يؤمن بها المجتمع افسعودي الجديد . وقد استطاعت القصة بفضل مرونتها ، تبسيط الأضواء الكشفية على مشاكل وزوايا اجتماعية لا يصل إليها الشعر ويظل قاصرا عن معالجتها .

فجاءت سطحية الملامح بإعانة الروح ، تميز أسلوبها باتجاه الخطابة والوعظ ، أكثر من تمعقها لدراسة الأسس الفكرية والفنية وتحليل النماذج الانسانية والعوامل الاقتصادية التي هي المسرح العملي للسرد والقص ..

ولم يتعمق الاديب منهم في هذه المرحلة ابطال قصصه ، ولم يحلل نفسياتهم ودوافعهم ومنازعهم البشرية بل نجدهم يصفون شخوص قصصهم وصفا حسيا خارجيا ، ولم نجد كذلك أمثلة واضحة للبطل القصصي المتطور ، الذي يتنامى من خلال تفاعله مع الأحداث ، أو بالحوار الداخلي (المونولوج) لذا بدت شخوص قصصهم جامدة وكأنها دمي مشدودة بحبال تتحرك بلا حياة • وصفتى لأفكار محددة مرسومة • لا كائنات حية تسعى على إقدامها نحو أهدافها ومصائرنا •

والقصص اجمالا في هذه المرحلة ، أقرب الى ان تكون حكايات شعبية ، صاغتها أقلام بأسلوب قصصي منها الى علاقات انسانية حية تفضج بالانفعالات البشرية وتتطور مع الحدث الفني أو تتواءم معه •• لذلك بدت لنا احداث بإعانة مسطحة لاعتق فيها ولا أحجام لها •• وكذلك أخلاق شخوصها بسيطة واضعة ، وعواطف ابطالها عادية لاتعقيد ولا تشابك فيها ، فهي ثابتة لاتتغير مع الحدث ، وعلى تعاقب العمل والزمن ولا تتبدل أو تتلون مع تطور الحدث ، وكأنها أقدار مرسومة على جباههم ، فالخير يظل خيرا على امتداد العمل القصصي والنشر يبقى شرا مطلقا وكأنها أقدار محتومة لا مفر منها ، يضاف الى ذلك جنوح الى المبالغات المجسمة والاسراف بالتهويل ، وتلك الخواثيم النادرة والمصائر الغريبة التي ينتهون اليها ، فهي أشبه بالأعاجيب

فقد عبرت القصة ببساطة ووضوح عن مفاهيم اجتماعية حديثة لهذا المجتمع المتطور النامي ، وأبرزت شكل رؤيته للحياة وعق نظريته للأخلاق مع ما ينسجم مع تعاليم الدين الحنيف ، وتطلع الانسان العربي في المملكة العربية السعودية للخلق القويم الذي يرتضيه ليجتمع الجديد ، مستمدة مادتها الاولى من الموروث المتراكم عبر اسفار التراث العربي الاسلامي ، وعرضه بأسلوب فني جديد يحمل كل سمات المرحلة انحضارية التي تبنتها الطليعة من رواد الادب السعودي ، لذلك فتحت أمامها الابواب الموصدة وراحت تطلق على كل الاشكال الادبية الاخرى ••

ومن السمات المميزة لفن القصة السعودية أنها كانت وعازالت حصيلة للروح العربية الصافية فأصوبها عربية النسب والارومة ، تستمد مادتها من قديمة أرض المملكة ، ومفاهيمها من أقيم الروحية العربية الاسلامية ، مخالفة في ذلك الطرق التي سلكها مثيلاتها في افكار العربية الاخرى ، فلم تتبع طريق التعريب أو الترجمة عن الآداب الغربية، إنما كانت عربية اليدار نفسها ونسبها مستمدان من الشمس العربية والارض السعودية ذاتها •• وتبعاً لارتقاء فن القصة ونضوجها في السعودية ، نستطيع ان نقسم مراحل تطورها الى طورين اثنين :

■ المرحلة الاولى :

وهي المرحلة التي تمتد حتى نهاية الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥) ونستطيع ان نطلق عليها مرحلة القصة الانشائية أو القصة المقاتلة •

وتناولت القصة في هذه المرحلة شرائع اجتماعية معينة وسنطت عليها الاضواء عبر ضباب كئيف من الخيال القصصي المجنح •••

وانتقدتها ، كأوضاع المرأة ، وصروف الحياة والعلاقات العائلية ، ومسألة الفقر واليتيم ، والميراث والعمل وغيرها •• فمثل هذه المواضيع ينترج في حقل الإصلاح الاجتماعي ، لكنها صيغت بأسلوب قصصي

والخوارق لا يحدث ما يشابهها في الحياة العادية .

اما من حيث الاساليب التي سبكت بها هذه القصص فانها تمتاز بالمتانة والرشاقة والانسياب مما عوض عن لنواحي الفنية المتقدمة ، حتى لقد حاكت في اساليبها طرائق الفحول من المعاصرين والغابرين . فالصور الفنية بارزة متميزة الالوان والاخيلة متشامخة مجنحة ، والصنعة اللفظية متقنة من حيث اختيار الالفاظ وصياغة التراكيبي وكانها معرضي من معارض القول والكلم .

■ المرحلة الثانية :

وتبدأ بالفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية حينما عادت افواج البعث من الشباب السعودي من مختلف انحاء العالم مزودين بالثقافات المختلفة ، وقد اتقن الواحد منهم لغة اجنبية على الاقل ، وصادف ذلك أيضا استقرار الحياة السياسية في المملكة العربية السعودية ، وازدهار الحياة الاقتصادية وتطور الحياة الاجتماعية ، وانفتاح البلاد على التيارات الفكرية الاجنبية وانتشار التعليم ، وظهور القيم الحديثة في العلم والفن والأخلاق والحكم والحياة ، وبدأت الطغوم النشائية تؤتي اكلها نتاجا يانع التمر داني القطوف .

ونشأ في هذه المرحلة من مراحل القصة اتجاهان جديان متوازيان على أرض المملكة العربية السعودية فقد ادرك الأدباء بحسهم الفني الصقل بآثار تآزر الثقافات ان القصة يجب ان تخرج عن كونها وصفا للكلام الجميل والتمائم الرنانة والجوهر بالخيال .

فالقصة كما اطلعوا عليها خارج بلادهم غير هذا ، ولها مقومات وعناصر فنية لا تقوم الا بها . وهكذا ارتقى فن القصة على أيديهم حتى استطاع ان يحتل المكان اللائق به بين مختلف الفنون الأدبية الأخرى .

وفي هذه المرحلة الثانية من حياة القصة نستطيع ان نميز اتجاهين :

أ - الاتجاه الأول :

وهو الاتجاه الذي مثله المرحوم حامد المدهوري

(١٩٢١ - ١٩٦٥ م) وقوام هذا الاتجاه المونولوج الداخلي أو التحليل النفسي الذي يفني استبطان الأمور والشخص ورسمها من الداخل ، لا من الظاهر والخارج .

فقد بنى المدهوري تجربتين ناضجتين الأولى (ثمن التضحية ١٩٥٩ م) والثانية بعنوان (ومررت الأيام) ونشرت عام ١٩٦٣ م . على متوال الرواد من القصاصين في العالمين العربي والغربي . فشخص روائتيه بشر مثلنا لهم عالمهم الداخلي الذي يسور بالخصب والانفعال والثناء ، وأخذ بالحوار والمونولوج الداخلي يحل هذه الشخص ورسمها لتأمن الداخل فيبرزها حية متحركة نامية لها عواطفها وانفعالاتها . مع المحافظة على نضاعة الأسلوب ومتانة السبك وجزالة الالفاظ .

ثم يصف لنا المدهوري من خلال السرد ، الحياة العادية في بيوتات الأسر السعودية وما يدور فيها من علاقات ، كما يرسم لنا ملامح البيئة الطبيعية في العربية السعودية بتفاصيلها وأسمائها ، كما ويرسم لنا المجتمع الحجازي وطموحاته الحثيثة للمحافظة على الاعراف والتقاليد ، ولا ينسى ان يطلعننا على حيرة اقتباب السعودي علما تقذف بهم نوى الترحال الى انظار قصية من العالمين طلبا للعلم والمعرفة ، ومايساورهم من هموم وعواطف يعلون على كتبها . يابى المدهوري الا ان يغلبهم على عواطفهم ليضرب بذلك المثل الصالح والقدرة الحسنة لمن سيأتي بعده . كما انه لا ينسى ان يظهر جهل الاهل وطمعهم للفتيات اللواتي لا ذنب لهن فيما يجري عليهن من اقدار .

ويبقى المدهوري الرائد والطلية لهذا الفن القصصي المتطور في هذه الحقبة من الزمن وما تلاها وجدا لو حذوه الآخرون ، على الرغم من ان الطريق صعبة وشاقة ، والامل معقودينواصي القصاصين اقتباب في ارتقاء مثل هذا الأسلوب القصصي الرائع . تارة وفي البكاه تارة أخرى ، أو في التردد عليه . ومنهم من بلغ الغاية والمرسى ، ومنهم من أخفق ، ومنهم

ب - الاتجاه الثاني :

من كتب القصص المتماusk ومنهم من انتج المهمل من القصص ..

أما النوع الأول : .. فهو الذي أعطى القصص الجيد الذي ينسجم مع المنطق ويقلبه العقل ، في صورة جمالية حسنة العرض والحدث ، والقدرة الفائقة على رسم الشخصيات من الداخل أو من الخارج في حوار سليم متوافق مع الفكرة من جهة منسجم مع الشخص في الجهة المقابلة . يزينه نجاح متميز في خلق الأزمة والصراع أحياناً ، في تفاعل مشوق رصين يندلج إلى اليه ويعلق أنفاسه به حتى الخواتيم ، كل ذلك بلغة واضحة وأسلوب عربي متين .

أما النوع الثاني : فهو نماذج من القصص الذي ولد على أقدام الشباب الذين فتحوا أعينهم على النهضة تسري في جميع الأرجاء ، وعلى الثقافات تدافع إلى معظم الاتجاهات وعلى صراع عنيف بين الجمود والتطور . ولقد عالج هؤلاء الشباب الموضوعات المختلفة عن طريق الفن القصصي ، وحاولوا أن يتقيدوا قدر طاقاتهم بأصوله الفنية وقواعده المرعية ، إلا أن قصصهم جاءت باهتة قاصرة حيناً ، أو مشدودة إلى مبالغات سينمائية مكلفة أغتر ما يسيرها الواقع أو منطق الحياة أحياناً أخرى ، أو قد يكون سبب هذا التفتك عائد إلى تهاوت الفكرة أو سوء العرض ، أو التخليط في الأحداث ، أو ضعف الأزمة والصراع أو تقاعسة النهاية أو ركاسة الأسلوب وهلهلة ، مع ملاحظة عامة في هذا النوع من القصص هو ضعف اللغة والإغلاط الكثيرة التي تعتوره .

وتتسم هذه المرحلة بسمة غاية كبيرة من الأهمية ألا وهي نزول المرأة إلى الانتاج الأدبي . إذ راحت تنشر الموريات من صحف ومجلات كل مايجوز في خاطرها ولم تكنف بذلك بل أخذت تطبع انتاجها في كتب مستقلة ، مما ييسر بدخولها ميادين أخرى .

وأخيراً ، وليس آخراً ، أن الغد ينتظر ظهور الكثير من الحق والمهارة الفنية في كتابة القصة ورسم الأطر الفنية لها على أرض المملكة العربية السعودية ، هذا الفن الحديث الذي تكاد تكون له السيادة المطلقة على الفنون الأدبية الأخرى ، وإننا ننتظر من الأخوة القصاصين السعوديين أن يتحفونا بالمزيد من جميل القول ورصين السبك ، كما اعتادوا .. وإن الغد لنأظره قريباً ..

كان لايدل ذلك التطور الاجتماعي والسياسي الشامل لجميع مناحي الحياة في المملكة العربية السعودية من أن يشر ويعبر عن نفسه بأقلام فنية جديدة اللون والنبرات ، متفتحة العقل والتجارب . نشأ اتجاه آخر يوازي اتجاه المرحوم المنهوري وانقسم أفراد هذا الاتجاه إلى قسمين اثنين مختلفين :

الأول : وينظمه الأكاديميون ، الذين عادوا إلى البلاد بحمى ملأ بالكثير الكثير من العلم والمعرفة والتجربة ، بعدما خبروا أصول الفن القصصي وعرفوا قواعده في مناهج الأصلية وفقهه .. فتأدوا بالتجديد والاتبعات .

الثاني : والفريق الثاني وهو الذي يمثل الأدباء المحليون الذين حنكتهم التجربة ورست أقدامهم المهانة ، وبرت أسنة أفلامهم حرب الكلام ، وقد نادوا بالتسلك بالقديم ، ودعوا إلى المحافظة عليه والحرس على « بروتوكولاته » .

ونزل الفريقان إلى ميادين الصحف والمجلات ، وأخذوا يتبارون في الكتابة وكانهم في حلبة صراع . وراحوا يتقارضون النقد بين أخذ ورد ، والمركة بينهم يزداد لهيبها ويصطلي أوارها يوماً بعد يوم .

في هذا الجو من الحركة والتطور والانفعال ولدت القصة الفنية على أرض المملكة العربية السعودية لأول مرة ، لأنها بشكلها الحالي منقطعة تماماً عما كانت عليه من قبل ، لكنها على الرغم من ذلك لم تستطع بعد أن تتخلص كلياً من الأعباء الاجتماعية التي كانت قد سوت انتشارها بين الناس ، وهي - أي القصة - وإن استطاعت أن تتخلص إلى حد ما من الصيغة الخطابية واللهجة الوعظية ، فلم تستطع أن تتخلص من هدفها القديم ، ولكنها عرفت الطريق القويم الذي يجعلها اجتماعية المحتوى والمضمون وتنوع المواضيع التي تعالجها فكان هناك المواضيع الرومانتيكية والواقعية والتاريخية والأسطورية والصور الاجتماعية وغيرها ، لكننا نقد قصص الأطفال والقصص البوليسية والنفسية والمخاطفي المحض .

ونلج على القصص السعودي المأصر بصورة عامة مسحة من القلق والروب تغلف أحداثها وأهدافها معبرة بذلك عن الحالة النفسية والفكرية لمؤلفيها الذين يبدون وكأنهم يبحثون عن درب الهداية في الأحلام

مرثية

الحب

والموت

شكري هلال

يقتالني حبك .. يمتص دمي

يهد اعصابي ويرميني على شوكة العذاب

يشرب من مدامي ..

يقودني فوق دروب الألم ..

مسيرة القنوط والموت التي ليس لها ايباب

اعرف اني هالك .. نهايتي على يدك تكتب

والسم اسقاه .. وفيك جسدت اسطورة العذاب

وانت صخرتي .. وسيزيف انا .. ارفعها ..

ارفعها .. لكننا تهوى عقوبة واغلقت في وجهي الابواب

اغضبت كل الناس والسماء فيك ، يابانة الهوى

بلا حساب

يامن بظهري تقمدين الخنجر المسموم ..

وقدري الملعون انت .. في هواك كل يوم اصلب

احمل صخر الالم المكبوت .. يدعوني اليك هاتمي،عذاب

اعمى تقود خطوتي الاقدار

وحيث لا قرار للعذاب اهوى .. ارتمي انهار

معذب قلبي لديك جرحه لايفسد ..

والصمت والالام في صدري .. اداويها .. وتبكي

وببكي الشوق في عيني ... وببكي الموعد ..

حان الرحيل ... حان ياقلبي .. وشمسي تغرب

واوحدا اقابل المصير ..

يحنو علي حزني الكبير ..

—*—

يقتالني حبك .. في ربيع العمر في اشراقه الشيا

يقتالني اصرارك الجبار .. والعناد والشجار

تفتالني .. الغيرة .. قضيتني .. تهد راسي الافكار
اضيق في متاعة سحيقة .. ليس لها قرار
النت لي .. انت تهوين ؟ محال يقتل الجيب من يحب
وكيف يرض قلبك التليل ان اموت ؟ ...
واين ذاك الشوق والحنان ؟؟ اين التضحيات ..
ضاعت ؟ ؟
اين اين ضاع الصدق والوفاء . ؟ ..
عهودنا .. دموعنا .. ورحمة السماء ..
كيف يفسح هذا كله وننتهي اغرب ..
ويستغي الحقد من الاحباب ؟ ..
كيف بنا تختلف الطريق ؟ .. والاشباح والليل
بنا تحقيق ؟
كيف يصير الحب نارا تحرق الوجدان ...
كيف يصير الغرس ماتنا .. تبكي العيون طهره اليتيم ؟
كيف يموت الحب .. في عينيك ؟
يعيا الحقد والثغور فيهما .. ياتلق الجنون والفضب
تعمرين كل ماشدناه .. يطوي كوننا اللهب ..
كيف السنين اصبحت رماد ...
وبعد ليلات الوصال والحنان .. يرتوي من دمنا البعاد
انتهي الرواية الجميلة ؟؟
ومشهد الوداع هذا ؟ .. فوقنا ينسدل الستار
وترحلين .. من وجودي .. تسكن الاوهام فيموالندكار
واوحدا في الذكريات احترق ..
الياس والوحشة ندماني .. وطيف الامس خمرتي المعتقة
وتجهش الدروب .. اذ تلفظني تنكرني
امس بها كنا معا .. واليوم لاتعرفني
.. ماغرب الحياة ...

.. بل ماغرب الانسان ..
وماالذي يغير الاشياء .. ماهذا الذي ينعونه القدر ؟
علام .. ناتي للحياة ؟ .. نلتقي وتزهر الاشواق
في العيون فترة
يعقبها .. انقفاؤها والموت في سكون
.. علام عشنا الحب .. قطفنا زهور الوصل ..
مادام الغراق في انتظارنا ...
يسحبنا قطاره الشؤوم للدمار
علام ياننت علام هدني التفكير في المصير
وفي فمي ينتحر السؤال ...
الم يكن اجدى لنا لو اننا لم نلتق ؟ ...
ولم تلون عمرنا الاحلام والورود والوعود والعهود
ولم تفر في عيوننا السعادة ...
لم يخفق القلبان في اللقيا .. وكان حبنا عبادة
الم يكن افضل يامن تقددين لو بقينا غربا . ؟ ...
مااحترقت دوحى بنار القدر والشفاء ..
مامزق الوصال اعصابي ولا انتحرت في اللقا، والجفا،
ماكنت ايوب الذي سبح سنين يكتوي على مجامر الابله
ماشرب الهجران من دمي وادمعي ... ماهدني الاعيا .
الم يكن اجدى ؟ .. بلى .. لكنها مهزلة القدر
ماساننا التي ترقد في الأعماق ..
نعيشها بدمنا في الوصل والفراق
.. نفل في الطذاب نرسف ..
نفل ... حتى ينتهي السفر ..
.. ويستغي القدر ...

شعر : شكري هلال

نقطة نظام

علي المصري

- ٦ - فؤارة الظأ - ١٩٦١ م تونس
- ٧ - عنقود ندى - ١٩٦٤ م الدار البيضاء
- ٨ - شعور على الطريق - ١٩٦٨ م تونس

وأما كتبه المترجمة فهي :

- ١ - شجرة النار صدر مترجماً الى الاسبانية
- ٢ - أنا والقمر - صدر مترجماً الى الاسبانية

وله عدة كتب مخطوطة تصدر قريباً

- ١ - عندلثة
- ٢ - شجرة محار
- ٣ - الكلمة المسلحة

٤ - أهل مدينتي الغاضلة

وموضوع مقالتي نقطة نظام ، مجموعة قصصية تقع في مئتين وعشرين صفحة من القطع المتوسط وقد زين ظهر الغلاف بصورة للمؤلف مع تفريش للكتاب بقلم الأديب الكبير ناسك الشخروب . ويحتوي الكتاب على سبع عشرة قصة قصيرة هي عبارة عن مجموعة مشاهد منتزعة من صميم الحياة المغربية صورتها عين فنان أصيل ، ورسمتها بريشة رسام موهوب ، ودبجها قلم شاعر لوزعي . فجات على شكل ومضات شعرية تحمل من الشحنات الفكرية المريلة بضباب العاطفة ما يرتفع بها أحياناً الى مستوى البوح الوسيقي المريض بالخيال . وتحمل من الأحاسيس الحزينة والمخاض العميقة ما يرفع بها الى مستوى الملامح الشعبية ، لأنها تصوير دقيق للانسان المغربي في واقعه المرير وسخافة الأغلال والقيود الروحية التي يعتقد بها ، لذا نجد الكاتب يتناولها بكثير من النقد اللاذع والهكم الساخر ليحرز أبناء أمته من سخافاتهم ونفاقهم ، لكنه حزين

نقطة نظام مجموعة رائعة للأديب المغربي الأستاذ محمد الصباغ ، صدرت عام ١٩٧٠ م عن دار مطبعة الرسالة بالرباط .

والأديب محمد الصباغ من مواليد مدينة تطوان لعام ١٩٢٩ م تلقى تعليمه في المغرب وإسبانيا ونشر إنتاجه في مختلف الصحف والمجلات العربية ، كما ونشر مترجماً الى اللغة الاسبانية وذلك في المجلات الاسبانية ودول أمريكا اللاتينية ، ونقل بعض إنتاجه الى كثير من اللغات الأجنبية وقد صدرت دراسات عنه في عدة (انتوجيات) استشرافية وشغل عدة مناصب رسمية علمية وهو يشغل حالياً رئيساً لقسم الآداب بوزارة الثقافة المغربية ، ورئيس تحرير مجلتي البحث العلمي ، و « الثقافة المغربية » اللتين تصدرهما وزارة الثقافة

وهو الداعي الى تأسيس اتحاد كتاب المغرب في جريدة « العلم » سنة ١٩٦١ م ، وقد انتخب مرتين عضواً في المجلس التنفيذي لاتحاد كتاب المغرب منذ نشأته حتى الآن .

وقد صدر للمؤلف

- ١ - المير المتهب - ١٩٥٣ م تطوان
- ٢ - شجرة النار - ١٩٥٤ م تطوان
- ٣ - النهاث الجريح - ١٩٥٥ م تطوان
- ٤ - أنا والقمر - ١٩٥٦ م تطوان

٥ - شلال الأسود - ١٩٥٦ م تطوان طبعة أولى
١٩٥٧ م تونس طبعة ثانية
١٩٦٦ م بيروت طبعة ثالثة

مشفق في كل خلجة من خلجات قلبه ويواكبه احساس عييق بقيمة الانسان مهما يكن شأنه بين الناس *

وهو في كل ذلك دقيق التعبير ورشيق العبارة تبدل المشاهد أمام القارئ على شكل ومضات ضوئية على دروب الهائي العميقة التي ربما لاتترك الا بالتمعن فيما يختبئ وراء الألفاظ وما يتلامح بين السطور * ويبقى العمق واستبطان شخوص القصص رائدالكاتب وديدنه وربما سلك في بعضها أسلوب التداخي وفي بعضها سيكولوجية المدارس النفسية الحديثة * فجاءت قصصاً فنيا رائعا وإن لم تستوف شروط التقنية كلها * ولا يملك القارئ الا ان يتابعها يشوق ومتعة وما ان ينتهي من قراءتها حتى يشعر بأطباق تحرك في ذهنه وتجوب خواطره راسمة دوائر ودوائر من التفكير في طبيعة هذا الانسان الذي شاعده منذ اوفيات يتحرك على بياض الورق ويتنفس بين السطور *

ولكي تكون الصورة واضحة نعرج على أقصوصة « الوصي » لنستمتع ببخجاتها الحية وومضاتها اللمحة: يشاهد ويتأمل *

الحنن يشي صامتاً يشي بصامة وقار كما اعتاد أن يشي *

أحياناً ينهم الحزن دموغاً حارة على الأرض، وأحياناً يلف في منديل ، وآونة يصعد تنهيدة تخرق حنجرة كثيفة *

المدينة تودع بصمت ، وفي نفس الوقت تستقبل بصمت

المصاييح تنطفئ على جثث خمدت شموعها - امتار صفيقة سوداء تنزل بغضب على النوافذ تكاد تنشق - ما ذنبها ؟

حركة تحرق ورنق الأخشاب ، فتحيلها الى نعوش وتوابيت * نفس الحركة ، في فصيلة تلك الأخشاب تحيلها الى مهود ، بنفس المنشار ، بنفس أغنية ذلك المنشار * المنشار لا يدري * لم يعلم عنه في يوم من الأيام ان عينيه تفرقتا بالدموع حزناً على فقيده ، أو

تبرعم فرح على خديه ، ابتهاجاً باستقبال وليد * لا يدري ، لا فرح ، لا يبيكي ، لا يهتم ، كما لا يهتم ذلك الموظف الذي يجلس الى سجل الوفيات في (البلدية) *

- « زينب ماتت » *

تملى عليه تنهيدة *

يكتبها في سجل الوفيات وهو ينث الدخان من فمه ، منتظراً مرور الشهر ليشتري من أجرته المكمل وأحمر الشفاه لفتلته *

التنهيدة ، تبقى بدون تسجيل * تترك لقطه ، حتى تصلطها ذبابة من بين ماتصطاد ، وتضي تلن بها طينياً ، ولا من يسمح هذا الطين *

سجل الوفيات في « البلدية » مكتوب بأحمر الشفاه *



الخريف داخل البيوت والاكوخ : يبعث ، ويعصف ويشنق ، ويدمر ، ويهدم ما بناء ربيع الحياة *

وجوه اطفال ، شيوخ ، وصبايا كساها الزعفران بلون القسوة *

تفتح الأبواب عن مواكب الحزن كل يوم ، وتضي في طريقها الأسود المستقيم *

تلك اليد التي تمتد لشراء ورقة البانصيب ، وفي مؤمل صاحبها أنه سيكسب سيارة من النوع الرياضي لترافقه فيها حبيبته الى ملاعب الحياة ومباهجها لا يهتم بهذه الجائزة التي تشي أمامه *

لاحت له كتلة من الناس تشي محتشدة وعلى بعضي الأكتاف وهم حامد محمول *

التفت لها ربح التفاة ، ثم مضى راكباً سيارة احلامه العارية ، ترافقه حبيبته الى المشارف الخضراء



الحنن يشي صامتاً ، صامتاً يشي بصامة وقار كما اعتاد أن يشي *

وبعثرت عظامها ولا أحد يسأل عنها •
عائلاتهم ؟!

(يقول عبد الباقي في سره ، ويضيف) :

ذرفوا الدموع التقليدية في الأيام الأولى ، ثم غابوا
ينتقمون وجوه الأيام ذراهم كبيرة تطمس إحساسهم •
غاب اصحاب تلك الحيون الباكية التي كادت تنزلق
من محاجرها ، فتدرج في القبور وهم يوارون موتاهم
الغرب • موتاهم الأحياء •

أعصاب هذه المقبرة وأشجارها كلها مروية بمثل
هذه الدموع الكاذبة •

خبرته الطويلة ، أملت عليه هذه الاعتقاد •

لا • لن يتركوا مهملين • لا أنيس ، ولا زائر ، ولا سمير
ولا من يخبرهم كيف استؤنفت الحياة ، وكيف أصبحت
وأصمت ، بعد مارحلوا عنها محولين ، وتركوا خلفهم
كثيراً من المشاكل ، والمصاعب ، والمضاريع ، كانوا
يجهدون للتغلب عليها •

من فهم أن يعرفوا نتائج كل هذا •



انه يجلس فوق قبر « السي سمود » :

(رحك الله يا « السي سمود » رحمة واسعة • •
أولادك وبناتك وأزواج بناتك وكل من له حظ في ارتك
اشتعلت بينهم حرب ، أدت الى القطيعة والطلاق •
ابنتك « قاطية » طلقها زوجها بالثلاث • صهره
« مصطفى ؟ » - « مصطفى » الذي كنت تدله وتدعوه
بابتك الحبيب • ماذا أقول لك عن هذا « المصطفى » ؟
سمعته يشتك • صدق يشتك • بعد ما طلق ابنتك
« القضية مارالت في المحكمة بين اخذ ورد » •



يقوم « عبد الباقي » وينتقل الى قبر « الهادي » :
(سلام عليك •

كما اعتاد « عبد الباقي » ذلك الذي يشاهد ويتأمل
أن يشفي في كل جنازة ، جنازة ، يشفي مشيعاً هذه
الجنازة •

لا يعرف هذا الراحل •

هذه الوجوه الكئيبة المشيعة • يعرفها ؟

يجعل أغلبها • يجعلها كلها •

نظرة فضولية تقذفها عينان نحوه •



هذا الفضول يقول : « من هذا الغريب الذي يشي
في جنازتنا ؟ » •

« عبد الباقي » ، لم يصر اهتمامه لهذه النظرة
الفضولية لم يرق لها وزناً • اعتاد على مشيلات
هذه النظرات •

هذه هي الجنازة الخامسة التي يشيعها في هذا اليوم •

انه من عائلات كل الموتى الذين يشيعهم • كل ميت
يدرج في مقبرته ، يعد نفسه سادساً له ولقبرته •

هذا هو اعتقاده الراسخ •

انه وصي على الموتى ، يخدمهم ، يحاورهم ، ينفس
عن كروهم ، ينقل اليهم اخبار المدينة • بتدقيق وأمانة
ينقلها اليهم • ولو كانت هذه الاخبار ستفضيهم ،
ستبكيهم في قبورهم بدمع التراب والحصى والديدان •

يهتم بقبور الأطفال • يقص عليهم حكايات :

« عائشة قتيبة » و « والقنفذ الضير » و « الطائر
الريس » الذي طار من نافذة الى نافذة • •

اذا لم يهتم هو بالموتى ، فمن سيهتم بهم ؟

زوارشرف يأتون • اذا أتوا من حين الى حين •

كثيرة هي القبور التي انطمست معالمها • لا أحد
يسأل عنها •

وكثيرة هي القبور التي أعيد حفرها مرات متعددة

... وبعد ما حكمت المحكمة بأن توصية مزورة ألقت العدالة عليه القبض ، وأودعته السجن . وهكذا انتهت قضية صديقك « عبد البر » الذي كنت تؤثره على جميع الناس ، لأخلاقه ، وأمانته ، وصدق محبته لك) .

يأخذ « عبد الباقي » حصيرته ، ويتجه نحو قبر طفل وهو يهوى . ابتسامة على خديه ، وبينما هو في طريقه نحوه شغلته رفرقة غراب وهو يجوب في الفضاء وينعق نعيقا أسود :

أيها الملاك الصغير . وقتت بنا الحكاية عندما طار الطائر العريس من قبة الملك .. اليس كذلك يا ملاكي الصغير ؟

ومضى الطائر من غصن الى غصن ، ومن عش الى عش ، باحاً عن عروسه حتى عثر عليها على ضفة بحيرة .

حملها العريس على جناحيه ، ورفرف بها الى عشه الذهبي .

هنيئاً سعيداً أيها الملاك البتيم . طرت الى قبرك بجناح مهيف .

لم تنعم بقبلة أمك . ولا بدق حضن أبيك . سعيداً تنام . لاتعرف الوجوه . لاتعرف الأصدقاء . تجهل شيئاً تطير من أجله الرقاب ، وتحبك المؤامرات) .



قالها « عبد الباقي » ، وهو يستند الى حافة قبر « أحمد » :

(طيب الله نراك يا ساكن هذا القبر .

.. تركت المدرسة . وفرت مع فرنسي ، الى حانة باريس أمها زوجتك لم تنفك باحثة وسانلة عنها في ادارة الشرطة . بعدما اعلنت في الصحف عنها ، جاءها تقرير يقول بأنها تعمل راقصة في « كازاري » بحسب يدعى « مومارت » . الام تنوي السفر الى باريس .

باعت الاقراط . باعت خاتم الزواج . بعد ثلاثة أيام ستسافر) .

جميع سكان المقبرة على علم بما يجري في مدينة : المحكمة والشرطة ، والسجن ، والكلب ، وبكل ماله علاقة بعائلاتهم وأقربائهم وأصدقائهم ، و



الحزن يمشي صامتاً ، صامتاً يمشي بعمامة وقار كما اعتاد ان يمشي .

الماء يلفظ آخر أنفاسه الرمادية على ملأه الشفق المتخن بالجرار .

من بعيد .. من منازل المدينة الموقية ظهرها نحو المقبرة ، تمتد أصابع ، فتعقل النواند والشبايك وتزل الستائر الصيفية السوداء عليها .

من احدى المداخل القريبة ، يعلو دخان كثيف ، ذو رائحة كريهة متدفقا نحو اسوار المقبرة .

خنفسا ، تمشي الهوينى ، على صوت نقيق ضفادع على حافة لحد .

رجل في يده مصيدة ، وهو يطوف في دروب المدينة مفتشاً عن الكلاب ، ووراءه عربية مشحونة بها . من شباك العربية تطل بعض الكلاب ، وهي تحدد في الأفق البعيد البعيد ، بالحنّة تحدد .

لا أحد في المقبرة .

صمت رهيب يمزقه موت خطوات « عبد الباقي » وهو يقترب من بابها .

في الظلام يلوح له كلب ، وهو يقتحم باب المقبرة ، متجها الى ترى الى أين هو متجه ؟

يرفع « عبد الباقي » بصره الى باب المقبرة .

فيقرأ بجانب بابها الأيمن :

« يمنع الدخول على الكلاب ») .

٧ - ٥ - ١٩٧٨

نور على نور

مجلد ١

نور تألق أبد الدهر وما زال يحمل في طياته بذور الحقيقة التي يبحث عنها الإنسان بحث أخته الجيران ،
وبيان ساحر ملك قلوب الانس والجن على مدى الأيام ، ومعان رقيقة تنسم بالعظمة ، وتسربل بأصق
والواقعية التي تفتقر اليها قوانين البشر . كل ما يهتق وخير وجهان ، وكل ما شرعه فيه السعادة التي
نبعث عنها على الارض دون جدوى انه الشجرة المباركة التي تنفيسا ظلالتها ونجد في كنفها الراحة
والامان ، والتبع اثر الذي تقترب منه دون نفاذ .

إنفاسك بروعة المظهر الشاخص
أمام ناظريك بكل ما فيه من صدق
وحبوبة وحياة . بقول تعالى :
(والسابقون السابقون ، أولئك
المؤمنين ، وقليل من الآخرين ، على
سرر موضوعة ، متكئين عليها متقابلين
يطوف عليهم ولدان مخلدون ،
بأكواب وأباريق وكاس من معين ،
لا يصعدون عنها ولا ينزفون ، وفاكهة
مما يتخيرونها ولهم طير مما يشتبهون
بحور عين كأمثال الأنثى الكسوة
جزاء بما كانوا يعملون) صدق
الله العظيم .

ويحدثك عن النار فيشتعر بدنك
ويرتعد قلبك خوفا وهما حتى ليكاد
ينب من بين ضلوعك ، وتسمع زفير
جهنم وغضبها ، وتحس بلفح نيرانها
وتطأ شرورها ، وتصاد عليها السنتها
فتنتج بقلبك وحواسك الى خالك
تضرع اليه في قلب منيب ضارع ، أن
يحكيك منها ، ويجعل بينك وبينها

متتاليتين ، ولن تعطيك معشارا مما
يعطيك هو من حلاوة البيان ، وروعة
الجرس ، وبراعة الموسيقى ، وتناغم
الايقاع ، وانسجام الفواصل ، ودقة
الوصف ، وجمال الرصف ، وسمو
المعاني ، وغنى الافكار ، وتوهج
الاحساس ، ومناة السبك فكل
لفظة استقرت في مكانها الطبيعي
وكأنها حفرت في هذا الموضع ، فلا
يسكنك ان تقفل لفظه أو تؤخرها
ولو حاولت ان تأتي بعبارة واحدة
شبيهة به لمعجز عجزا مروعا ،
وأخفقت أخفاقا مريعا ، وطاطأت
راسك بذل العاجزين .

يحدثك القرآن الكريم عن الجنة
فتفهم اليها نفسك ، وبصورها لك
إذا هي حبة شاخصة أمامك
تستروح نسائها ، وتناجي أطيارها
وتشرف أذنيك بحفيف أغصانها ،
وتدقق أنهارها ، وصليل حصبائها ،
وتستبيح بحورها وولدها ، فيغمرك
فيض علوي من الهنات ، وتنهير

إذا مسك ضر وجدت في رحابه
تفرجا لكربك ، وأن ضاقت بك
سبل الحياة ذقت في كنفه الراحة
والسكينة ، وأن أصابتك مصيبة
وجدت فيه بلسا لراحاتك ،
وسكنا لروحك وقلبك ، وأن مرضت
أمك بأسباب الشفاء ، وأن فضلت
في امر من أمور الدنيا خفف عنك
ألك وشرح صدرك ، وأن أصابك
فقر عوضك عن فقر المال بغنى النفس
وملاها بالرضى والقبالة . تقرأه
في كل يوم بل وفي كل ساعة فلا
يتسرب الملل الى نفسك ، لكنك تجد
في كل لحظة معنى جديدا وطمعا
لم تذقه في المرات السابقة ، وعهدي
بالكتب مهما ارتقت وبالشعر مهما
سمعت معانيه ، ورق خياله ، ودق
تشبيبه ، وأحكمت قوانين قوافيه
وبالقصة مهما جل موضوعها ، وارتقى
حوارها ، وبالرواية مهما برعت في
تصوير شخصياتها ، أقول : أنها
جميعها تثير ملكك إذا قرأتها مرتين

سترًا ، يقول جلا وعلا : (سأسليه صقر ، وما أدراك ما صقر ، لاتبقى ولا تذر ، لواحة للبشر ، عليها تسعة عشر) .

ويقول في موضع آخر : (ان شجرة الزقوم ، طعام الائم ، كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم ، خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ، ثم صبوا فسوق رأسه من عذاب الجحيم ، ذق انك انت العزيز الكريم) .

فالقرآن الكريم يصور لنا هذه المشاهد النابضة بالحياة بطريقته الأسيرة ، وبيانه الأخاذ ، وتتألسى الصور أمام أنظارنا بكل حيوتها وضخامتها ، وبكل نعيمها وندائها وبكل جبروتها وقسوتها ، وهو في كل الحالات رائع غلاب ، يأخذ بجماع قلبك ويأسرك ، ويحمل بعيدا فوق أطباق السحاب ، لاهو بالشعر ولا هو بالنثر ، ولكنه كلام من نوع خاص ، ألف من كلام البشر ولكنه فوق قدراتهم ، وقد ضمت الفاظه الى بعضها بفعل قادر جعل كل لفظة متممة لا قبلها ومسببة لا بعدها .

ماتناول القرآن موضوعا الا ساء به ، حتى الغريزة فقد صورها بأسلوب نظيف يثري نفس القارىء مشاعر النبل والسمو . ففي لحظة من لحظات الضعف البشري كساد يوسف الصديق عليه السلام ان تستهويه امرأة العزيز في مصر ، وكاد ان يلقي نداء الغريزة ، ولكن راحة الله بعينه تسخت في اللحظة المناسبة وأنقذ الموقف فما أروع تصوير القرآن للحظة العري النفسى أو الجسدى حيث يقول : (ورأودته التي هو في بيتها عن نفسه، وغفلت الاواباب وقالت هيئت لك قال معاذ

الله ، انه ربي احسن مثواى انه لايلج الظنون ، ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) . صدق الله العظيم .

وحين يحدثنا القرن الكريم عن قصص الانياء يملك مشاعرنا بطريقة سرده للحوادث وتصويره للأحداث ، وتقديبه للمبرر والموعظة ثم انتصار الحقيقة في النهاية مها استبد الباطل ، فالحقيقة هي الخالدة وهي المنتصرة لانها فيض من حقيقة كبرى هي الله ، فاطر السموات والارض ، انه الحقيقة المطلقة التي تهز بكل الحقائق الأخرى .

وهذا الانتصار ما أبناه وأعظمه عندما يخلص القلوب المؤمنة ، الطمئنة الى رحمة الله ، انها لاتنقم ممن ظلمها ، ولا يداخلها الغرور شأن النفوس الضعيفة ، لكها تزدد حسوا ودنوا من ربها وخالفها ، فها هو يوسف الصديق قد فارق بلده وأهله وهو فتى لايتجاوز سابعة من عمره ، وباليته خرج سائرا أو طالب علم ، وأنا تأمرت عليه قوى الشر ، وألقت به في غيابة الجيب حسدا وغيرة ، وهبطت العذابة الالهية لتنفذ الفتى المؤمن ، وتذهب به بعيدا الى مصر ، ولكن قوة أخرى من قوى الشر تالت عليه وهي امرأة العزيز التي ترفع عنها ، فزجت به في السجن ابتلاء واختبارا من الله ، وما لبثت الحقيقة ان ظهرت بتقائها وصفتائها ، وتبوء يوسف المكان المناسب له ، وأصبح المسؤول الأكبر في مصر ، وأتى اليه اخوته الذين قذفوه في الجب صاغرين فقراء ، فاطلمهم وآواهم وقربهم ، وأرسل في طلب أبويه ، واجتمع التمسيل الشنتيت بعد طول فرقة وحرمان ، فهل

عرف الغرور طريقة الى نفس يوسف وقد ظفر بالجاه وباعدائه معا ؟ وهل استعجب حلاوة اللقاء فنسي ربه ولو لحظة واحدة ؟ لم يحدث شي من هذا ، لقد نبذ كل شيء وراءه وتوجه الى مولا بقلبه وروحه وكيانه ، ودعاه بضاعة وتوسل : (رب قد آتيتني من الملك ، وعلمتني من تأويل الاحاديث ، فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وأحقني بالصالحين) .

لقد انتهت رسالة العبد الصالح فهو لا يطلب من الله ان يمد في عمره ليحظى بلقاء أبويه وأخوته ، لكن نفسه تصفو ، وسريته تنقى نقا ، الخلق ، فينجاى ربه ويناديه نداء عذبا نديا : (رب بضمير المتكلم وكأنه يريد ان يسمعه وحده ، ان كل ما أعطيني ليس ببدي عمن رجاى ، وأنا راضى عن هذه النعم لا احتقارا لها وأنا رغبة فيها عو اعظم ، انه لقاءك ، ثم برق الخطاب وترعش الكلمات (توفني مسلما) الحقني بك مسلما ، واجعلني رفيقا ولاحقا بعبادك الصالحين .

الدنيا لاتشغل المؤمن أبدا ، فهو في شغل عنها بالآخرة الخالصة ، وما الدنيا امام الحياة الأخرى ؟ انها لاتساوى جناح بعوضة ، فلا يلبق بالمؤمن العاقل ان تأسره وتخلب له مها تغلب في تميمها وأُسوتنا في ذلك رسل الله جميعا . هذا مشهد بسيط من مشاهد القرآن الكريم ، أكتبا السادى الخالد ، الذي مها تحدثنا عن عظمته سببى فوق الكلام ، وأسمى من البيان ، وما علينا الا ان نفتخر من هذا الكثر الثمين والمنهل العذب قبل فوات الاوان .

(دمشق : ملك الحافظ)

الهر الشارد

قصة

محمد المجذوب

ومعظمهم ممن الضباط والطبقات الراقية ٠٠ وقلما تقوم خبارة في ذلك البلد لانتشري حاجاتها منه ، وبذلك كان على حانوت توما ان يكون مشربا ومتجرا في وقت معا ، وبالتالي كان عليه ان يوسع دائرة عمله ، فيواصل الاستيراد من مختلف معامل الخمر ومستودعاتها فقلما يمر يوم دون ان يتلقى شحنة او يسلم شحنة ولو صغيرة من تلك القواير ذات الطوابع الذهبية الالنية ٠٠ ولانلوحه من ان يستتبع ذلك توسعا مائلا في ماعليه وماله من الديون ، فعليه الالاف وله مثلها ولو استطاع لخفف من تلك الاعباء ولكن الامر خرج من يده وبات كالهالك في منحدر لا يستطيع ان يفكر حتى بالوقوف .

انه لينظر الى واجهات الحانوت الطويلة العريضة ، وقد امتلات بضروب المروضات من انواع الخمر ، حتى لا يكاد يجد خلالها موضعا فارغا ، فلا يملك الا ان يشارك الخارين الآخرين في

ولقد بلغ (التوفيق) يوما ٠٠ هذا حدا جعله موضع الحسد لدى زملائه من اصحاب المشارب ، فعلى الرغم من حداثة عهده بهذه المهنة اصبح حانوته مهوى السكارى على اختلاف نحلهم ومراتبهم ، وقدا سهم في زيادة الاقبال عليه موقعه الذي كان يشرف على الميناء الذي اكثر ما ترسو فيه فلك ارواد في ذهابها وايابها بين طرطوس وجزيرة ارواد مما يضيف على المنطقة مميزات لاتحظى بها الخمارات الاخرى فالحركة النشطة ومنظر البحر تشبه السفن صباح مساء ، اشياء تستهوي الكثيرين من الضاربين ، يضاف الى ذلك حسن ذوق صاحب الحانوت الذي احسن ترتيب محتوياته ، وعند الوانها واشكالها واستغل سمته فنشر فيه الموائد الالنية ، محفوفة بالمقاعد الجيدة واحاط ذلك كله بعناية توفّر للزبائن كل وسائل الراحة ٠٠ ومن هنا كانت مظاهر النجاح تتراعى في كل الحانوت ٠٠ فالشاربون غير قليل .

لم يكن لي به من علم قبل ذلك اليوم الذي لا يستطيع ان انساء ٠٠ ومنذ لث فقط بدأت اعرف الكثير عن صفاته التي اثارت شفتي عليه . والظاهر ان الذين ذكروا لي عنه مذكروا لم يكونوا مبالغين ولا متزيدين ، ولاني وجدتهم مجمعين على ذلك ، على الرغم من اختلاف مسالكهم ومعايشهم ٠٠٠ فهو ينظر جميعهم انسان طيب ، بكل ماتنطوي عليه هذه الكلية عند العامة ، من معاني البساطة وسلاسة اللسان وحسن المعاملة والبعد عن الشرور . اما انقطاعه لبيع الخمر فشي عادي بالنسبة اليه كصراي لا يرى في الخمر باسا ، الا ان يتجرع منها الضارب ما يتجاوز حدود الاعتدال ، فيدخل حينئذ في نطاق السكرين ثم بالنسبة لبيئة كطرطوس كثر فيها الخمارون والشاربون ، حتى بين المسلمين الذين يعلمون ان الله يلعنهم وشاربها وساقيتها وبأنهما ومبتاعها وعاصرها ومعتبرهما وحاملها والمحمولة اليه ٠٠

الاعجاب بما وصل اليه من ثروة
ما كان ليحلم بها قبل عامين ، يوم
بدأ افتتاح حانوته هذا كما لايزيد
عن ألفي ليرة سورية وهو كسل
ما استطاع توليفه من عمله في تقطير
الجنجور البلدية ، التي ورث صناعتها
عن أبيه ، ومن تلك الورقة السعيدة
التي واثاف بها الحظ من (البانصيب)
الذي لم يتيسر له قط قبل ذلك ،
على كثرة ما اشترى من اوراقه طوال
خمس سنوات .

ولم لايعثر حامديه وتحت تصرفه
كل تلك الثروة المتحركة ! انه
لا يحسن تقدير ممتلكاته بصورة
متينة ، كما انه لا يملك فكرة واضحة
عن مقادير الديون التي له وعليه .
وهو كذلك غير راغب في استقصائها
وحسبه منها ذلك التصور الغامض
الذي يخيل اليه ان ماله على بعض
الناس لن يقتصر عن مبلغ ماليه
لبعضهم الآخر . وما زاد عن هذا
وذلك ، أي كل هذه العروشات ،
فهو ملكه الشخصي ، وهو بنفسه
ثروة طائلة تستحق ان يحسب عليها .
ويتطفل خيال توما . . . الى
ما وراء حدود حسابه ، موهبا الصور
الاشتي عن مستقبل جان ولده الوحيد
الذي رزقه بعد عشر من السنين
الياسية ، فبان كاشعاع بدو ظلمات
حياته وحياة زوجة ، التي كاد يصدق
قل ما يسيحه جيرانها عن عمه لولا
رحمة الله .

لقد بلغ جان حتى الان الخامسة عشرة
من عمره ، وهو عني ورث ان يتنا
شهادة الدراسة المتوسطة ، ليتعل
بعدها الى المرحلة الثانوية . وتعل
الفرغ من توسطه في الذكاء وما حافظه
على مكانه من الشهرة الثانية ، لا يرى
في سلوكه ما يوسع من امكان تقدمه
حتى يتفكر بالثانوية ، ومن ثم يوجه
الى الجامعة لدراسة الطب . . .

ان امه الضخم هذا قد ولد في
هذا الحانوت . . . وما كان ليرواده
يوما قط لولا ذلك التوفيق الذي
صادقه ، ولا يزال يندب عن الامم
ولا ريب ان صيرورة جنان طبيبا
افضل ثرة يتوقها من حانوته

السعيد . . . وليس ذلك بالامر العسير
أو البعيد المال بعد كل ما ينعم به
من الزواج والاقبال ! . . .
واظل الصباح ماتما جيلا . . .
يلوح من بعيد بأشعة الفلك ، التي
أقبلت من ارواد تهادي على ظفر
اليم ، الذي بدا كصفحة اللززد
لا تكاد تتحرك . . . واعتدت المجاذيف
على جانبها تساعد الاشعة التي
اعوزها الهواء ، فراحت تشق منه
الصقيل في آناه ، فينتشر البعد
هاهنا وهاهنا ، متزجا بأشعة
الشمس التي شرعت في تسلق
الافاق الشرقي ، فيلمتج متوجها
كذئاب الفضة ، ثم لا يلبث ان يستتر
وراء كظم طويل يخطه الخراف في
صدر حقل رهيب . . .

وكان يوما مشغولا عن مناهد
انفلك واليبحر بانصاديق انسي
نعلهم الحانوت عن ظهر السيارة في
داخل الحانوت ، وشرع الخدم في
تصنيفها وترتيبها ، في حين جعل
يعددا ليصان محتوياتها على
بيان الشجن ، عندما امد بصره على
الشجن ، عندما ماخذ بصره على
حانة اشاطي الرملي منظر أحد
الرائيين ينقص كيسا من الخيش ،
فيظن منه هر ذهبي اللون صم
أعجة ، ما يكاد يلامس الارض بقوائمه
حتى جعل يغفر يمينه ويسره ، كأنه
يبحث عن شيء ، أو كأنه يريد ان
يستوق من المكان الذي هو فيه ،
وماهي الانحطت حتى انفد كالبهم
باتجاه الطريق الفاصل بين البحر
والحانوت . . . واعتزضته دراجسة
نارية ترسل ازيرها الذي لم يسمع
من قبل في ارواد ، فاذا هو مأخوذ
بمثل نوبة الجنون ، فلا يتأملك ان
يندفع بأقصى قوته الى حانوت توما
يغش عن ملاذ ينجي . . .

حدث كل ذلك في اقل من دقيقة
فلم يدع لتوما ولا لخدم الحانوت
ومن حولهم من الجمالين مجالا لأي
عمل سوى الصباح ، واقرض في
مطاردة انهر الشارد . . . ائذي سلب
وعيه ، فراح يتغفل بين صفوف
القراري ، وكلما انقلبت واحدة
أجفل هاربا الى سواها . . . وكلما
فرغ من رف وثب الى ما فوقه ، حتى
لم تبق قارورة قائمة . . .

وتدقق سيل الخيور مختلط
بعضها ببعض حتى تجاوز نطاق
الحانوت الى الطريق العام .

وفي الحق لقد ألمني مصاب توما
يومئذ . . . اذ علمت انه قد ذهب
برأسماله وآماله جميعا . . . وكثيرا
ما كنت أرم به بعد ذلك وهو جالس
الى بسطة الخضار ، التي حبس
نفسه عليها ، فاستوضحه عن حاله .
ويقدر ظفري عليه فيكاشفي بما
في نفسه من متاعب وما يعانيه في
معاشه وأسرته من مصاعب . . .
واتيسط معه في الحديث بعض
الايان ، فاذكره بأن عمله في بيع
الخضار لن يفي بالبركة عليه من تلك
الجنور ، التي لا تنتج القرش الا
على حساب صحة الآخرين من
المصلين . . . فلا يملك الا ان يهر
بالواقفة على ما قول . . . حتى كان
ذلك المساء ، وقد قصدت الى زيارتي
بعد انقطاع غير يسير . . . وعلى
دأبي جعلت أسأله لعني اسمح منه
ما يطيق على وضعه . . . وتبد ما نأت
المجاعة قاسية عندما نفت نظري الى
ذلك القني الزاعج من ركن حانوته
العاري ، وقد نفت قدمه اليمنى
ببعض الاربطة الكتيكة ، وامسك
بيله عصا ذات منكا يستعين بها
على السير . . . وقال لي في لهجة
تشبه الكياه .

- انه جان . . . ولدي .

- لا بأس عليه . . . وماذا يشكو ؟

وأطرق قليلا قبل ان يجيب ، ثم
رفع السي عينين لا أدري اذا كنت
لحمت فيها الدمع ، ثم أردف :

- لقد زلقت قدمه بقشرة موز
طرحها مستهتف في طريق المدرسة ،
فانفكت مفاصلها . . . وكلفنا ذلك
اجراء جراحتين . ولا يزال بانتظار
الغائلة ! . . .

ولم اطق البقا ، طويلا بعد الذي
سمعته ولم استطع التعقيب على
كلام الرجل بشيء ، فتركته وضعت
أفكر بهذه المسألة ، التي بدأ فضنها
الأول هر ، وصنع فصلها الثاني
مستهتزا ! . . .

يا حلوة الثغر

الدكتور جميل علوش

وان يتبع من مراك كل خيل
ولا يتبع منك العاشق الوصيب
وان تمر الاماسي الزهر في بلدي
وليس يجعنا من حينا سبب
اقصيت عني ولم تنجز روايتنا
في الحب شهراً لعمرى ان ذا عجب
ابعد ما مر عام من تنظرنا
نرنا الى ساعة اللقيا وترتقي ؟
يمر كالطيف شهر خلت مطلعته
نبعا يبلل به الحرمان واللغبي ؟
شهر هو السحر من عينيك ينسرب
شهر هو الجود من كفيك ينسكب
استديت ائمن مايسدي كريم يد
وكت اكرم من يعطي ومن يهب
ولا الومك في منع بدات به
فالكنز ان لم يصنه المره ينتهب
وللعطاء مقاييس يقاس بها
يفلو به الصفر او يسترخس الذهب
كم قبلة لك قد مرت على شفتي
كما يمر على وهج اللظى للهب
اودعتها خفقات القلب جامحة
لا القيد يخنق نجاها ولا العجب
وعدتني ساعدا عبلا تدل به
القيد الحسان وتزعو الخرد العرب

وحدي مع الليل لا يدر ولا شهب
شط المسير وغلان الوفا ذموا
قد كنت اشكو اغتراباً عن ثرى وطني
واليوم ارحل عن نفسي واغترب
ولي جناحان قص الحزن ريشهما
فليس لي بهما لهو ولا لعب
اذا اندفعت الى اعلى الذرى عصفت
بي الرياح ومدت منلكي السحب
اجر فوق دروب الشوك اجنحتي
وهمني في الذرى تسمو وتضطرب
انا الانين انا البوح الحزين انا
الجرح التخين انا الشكوى انا الغضب
يا حلوة الثغر لو تدرين ما صنعت
بي الاطاسين في مناك والريب
غلوت اتعس محزون على شفتي
لحن من القلب في الظلما ينسرب
وتسأليني عن همي وعن وصبي
وانت لو تعلمين الهم والوصبي
رحلت فالقلب في مناك متقبض
والنفس حائرة والفكر مشغوب
وقد تهون النوى لو ان موعدا
يا حلوة الثغر بالتسليم يقترب
لكن ظني انا لن نجعنا
الدنيا ولن يتسنى في لقا ارب
ليس من نكد الدنيا وقسوتها
انسي بنفائي عن عينيك محتجب
وانسي منك رغم الحب صفر يد
وانسي لك دون الناس محتجب

هذي الشجيرات هل تنسى مجالنا
فيها وقد مزنا للملتقى طرب ؟

إذا مرت بها عجلان عن عرض
وداح قلبك بالأحزان يصطخب

فأذكر متية أن غبت يفرها
شوق يخف إلى اللقا وينجذب

عهد لمينيك أن أرى ودادك لي
وأن أصونك في سري كما يجب

لئن قلص ظل منك عن بصري
وداح يرتد عن عيني وينسحب

فإن وجهك في عيني مرتسم
وأن شخصك في جفني منتصب

وأن ذكرارك في قلبي مخلص
يجري بها الدم أو يسري بها العبيب

وحسب نفسي رسم منك يؤنسها
تزهر به الدار والساحات والرحب



يا حلوة الثغر ما زالت تساور نفسي
اليك من فرط وجدي رغبة عجب

كأس من الخمر لم تحلم بها شفة
ولا إلى أمها في الكرم تنتسب

زرقاء يرقد في أغوارها الق
صاف ويطفر في حافاتهما حب

بينني وبينك اسرار اظن بها
وانت تدرين ما الفزى وما الطلب

فيا لصها، تشفي غل شاربا
وليس يصرها كرم ولا غيب

- جميل علوش -

وقلت والمطرف قد مالت به سنة
وراح يقرب من عذب به هذب

يا ليتني بإزاء الدهر باقية
وليت أنك مني الدهر مقرب

وليت هانئ، جفني لا ينفره
صدي وينحلق التاريخ والحقي

وكنت في غمرات الشوق يرفعتني
تبه إلى الأفق الأعلى ويجنب

أخال نفسي في حلم تظللها
فيه الفصون ويخو فوقها المشيب

في كل موقع طرف قد خطرت به
ذكرى يشب لها قلبي ويلتهب

تدري مسالك عمان وأدربها
ونحن كالطير في أطرافها نشب

أي الحكايات قد كانت تدغدغنا
وأينما كان يصبيننا ويختلي

يفتح الشوق فيها الف مضطرب
لنا من القول أما سد مضطرب

نخوض في كل عذب من مسالكه
ولا يضيق بنا عذل ولا عتب

تلك الشجيرات لي في ظلها حرم
قلبي الحزين به يجنو ويكتب

إذا يلح بها طرفي على عجل
تكاد تقتلني الأحزان والكرب

لعل من سوء حظي أنها قدري
فليت أملك أجفها واجتنب

لي في الصباح عبور عن ميامنها
وعن مياسرها في الليل منقلب

قالت وقد رحلت للتوديع أصحبها
وداح من مقلتها الدمع يسرب

ابو الريحان البيروني

عبقريّة خالدة عبر العصور

حسني محمد بدوي

سنذكرها في موضعها من مقالنا اليوم ..

■ يقول «كاربنسكي» ،

« ان الخدمات التي أداها العرب للعلوم غير مقدرة حق قدرها من المؤرخين وأن البحوث الحديثة قد دلت على ديننا للعلماء والمسلمين الذين نشروا نور العلم حينما كانت أوروبا غارقة في ظلمات القرون الوسطى ، ولم يقتصر العرب على نقل علوم الاغريق ، بل زادوا عليها ، وقاموا باضافات هامة فيها » .

■ ويقول « فرانس روزنتال » : (١) « ان اعظم نشاط فكري قام به العرب ، يبدو جليا في حقل المعرفة

استهل مقالني عن ابي الريحان البيروني بتقديم موجزة عن فضل العرب والاسلام على العلوم والفكر على الثقافة الانسانية ، وذلك من خلال بعض اقوال نخبة من مؤرخي العلوم واساتذة فلسفة الحضارة ..

وليس من المستطاع في هذه المقالة ان اتناول باستفاضة شخصية البيروني وسيرته أو كل مؤلفاته ورسائله ومخطوطاته المتعددة ذات العلوم المختلفة والموضوعات المتنوعة ، لأن الامام التفصيلي بالتسرات الثقافي للبيروني انما يستلزم الجهد الكبير والمجلدات الكثيرة .. وليس المجال هنا يتسع .. فمن تتوق نفسه للبحث والدرس والتعمق والتحصيل ، عليه ان يرجع الى ما يستطيع ان يصل اليه من مؤلفاته النسي

٢ - وابن الهيثم .

٣ - والبيروني ٠٠٠ .

فمن هو البيروني ؟

هو : أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني .

ولد في الثاني من ذي الحجة عام ٣٦٢ هجرية (الموافق ٤ سبتمبر عام ٩٧٣ ميلادية) وذلك في ضواحي مدينة (كات) عاصمة دولة (خوارزم) ، وهي المدينة التي تعرف الآن باسم (البيروني) وتقع شمال مدينة (كييف) على نهر (أموداريا) بجمهورية (أوزبكستان) السوفيتية .

ويقول البيروني عن نفسه : « أنا في الحقيقة لأعرف نسبي ولا أعرف من كان جدي ! »

٠٠ : وتتنازع كثير من الأمم في العالم على انتساب البيروني إليها ، ومن هذه الأمم : روسيا وتركيا وإيران ف يرى علماء روسيا أن البيروني يمثل القومية الأوزبكستانية - ولكن الحقيقة النابتة أن البيروني كان عربياً في لغته التي كتب بها مؤلفاته ورسائله ٠٠ كان عربياً في روحه وثقافته ٠٠ كان يدين بالولاء إلى عربيه ولا يرضى أن ينسب إلا إلى العرب ٠٠٠ وهو الذي قال : الهجو بالعربية أحب إلى من المدح بالفارسية(٣) وقد أخذت دائرة المعارف البريطانية أيضاً بنسبه العربية ٠ (٤) .

٠٠٠ وتنطق (البيروني) بكسر الباء ، وسكون الياء وضم الراء وبعدها الواو وفي آخرها النون ، وهذه نسبة إلى (خوارزم) وتعني بالفارسية (البراني) أو (خارج المدينة) وذلك لاستغاث عائلة البيروني - فيما يقال علاج الأرجح - بالتجارة خارج المدينة .

ولكن ابن أبي أصيبعة في (عيون الأنباء) يقول :

التجريبية ضمن دائرة ملاحظاتهم واختباراتهم ، فانهم كانوا يبدون نشاطاً واجتهاداً عجيبيين ، حين يلاحظون ويحصون ، وحين يجتمعون ويرتبون ماتعلموه من التجربة أو اخذوه من الرواية والتقليد ، وكذلك فسان أسلوبهم في البحث أكبر ما يكون تأثيراً عندما يكون الأمر في نطاق الرواية والوصف ٠٠ وبصفتهم مفكرين ومبدعين قد أتوا أعمالاً رائعة في حقلي الرياضيات والفلك ، وللسبب ذاته نجح العرب في باقي العلوم ٠٠

■ ويقول العالم « ليبري » « لولا العرب لتأخر عصر التجديد في أوروبا لمدة قرون ، فقد لم العرب في كل الميادين العلمية ، وفي الوقت الذي كان فيه الشعراء والأدباء والفقهاء يقومون بأدوارهم في نهضة العرب الروحية والنفسية والخلقية ، كان العلماء في كل الميادين يقومون بقسطهم في البحث والنقل والتجويد ولم يتركوا باباً إلا طرقوه ، إن لم يكونوا قد فتحوا في العلم أبواباً جديدة » .

■ أما « ديلاسي أوثيري » (٢) فيقول : « لو أزيل العرب من التاريخ لتأخرت النهضة الأوروبية بضعة قرون ، فقد علمت الأمة العربية الغرب بعد أن ايقظته خمسة قرون أو ستة ، وحتى أواخر القرن الثامن عشر كانت مؤلفات ابن سينا لاتزال تناقش في جامعة (مونبلييه) بجنوب فرنسا » .

■ وقال « جوستاف لوبون » ، في كتابه « حضارة العرب » : « كلما تعمق المرء في دراسة المدنية العربية تجلت له أمور جديدة واتسعت أمامه الآفاق ، وثبت له أن الخرون الوسطى لم تعرف الامم القديمة إلا بواسطة العرب اصحاب الفضل في مدنية أوربا » .

■ ويقول الدكتور عبد الحليم منتصر : « ثلث ثلاثة ازدهت بهم الحضارة العربية في عصرهم ، أولئك هم :

١ - ابن سينا :

■ ابو الريحان البيروني ■

ان البيروني منسوب الى (بيرون) وهي مدينة بالسند وقد اخذ بهذه النسبة الاستاذ احمد امين (5) ويقول الاستاذ علي احمد الشحات في كتابه عن البيروني :

« .. ولكن اتضح عدم صحة ذلك ، اذ لم يكن أبو الريحان سنديا ، وكذلك لا توجد مدينة في السند تعرف باسم (بيرون) ! » وهذا الزعم الأخير غير صحيح ، اذ وجدت مدينة عرفت باسم (البيرون) كانت تقع على مصب نهر السند !

وقد رحل البيروني عن موطنه وهو لا يزال شاباً يافعاً ، وتوطدت علاقته بابن سينا ، ودرس علوماً عديدة ولغات مختلفة ، رحل الى الهند فحصل معه الحكمة والفلسفة الإسلامية وفي الهند احاط بكنوز العلم عند الهنود وتعرف على اديابهم وفلسفاتهم فبعد ان درس اللغة السنسكريتية واتقنها، كما درس عقائدهم وعاداتهم وعلومهم وضمنها كتابه العظيم : « تحقيق ما للهند من مقولة في العقل او مرذولة » .

ويقول الاستاذ - نفيس احمد الاستاذ بجامعة كلكتا (بالهند :

« يعد البيروني احد عظماء العالم في التاريخ ، وهو يحتل مكانة فريدة بين علماء المسلمين ، اذ هو عالم مؤرخ ، طبيعي ، جيولوجي ، فلكي ، رياضي ، كما درس التقاويم والطب ويتمتع البيروني بحاسة جغرافية حاذقة .. » .

بل كان البيروني عالماً في اللغات ، وله الملم واسع بعلم الآثار القديمة والتاريخ الطبيعي لاجناس البشرية وعلم الأديان المقارن وعلم الأخلاق وعلم السلوك ويمكن ان يعد من الفلاسفة ، كما بذل في آخر حياته عناية فائقة بعلم الأدوية وتاريخه وبعلم المعادن والجواهر ، وشارك في مجالات الأدب والشعر والفقه .. وكان يتمتع بفضيلة موسوعية فريدة ، وقد وضعه علماء الغرب

والشرق في مصاف ارقى العقليات العلمية في الوقت الحاضر ! وهناك من قال من علماء الغرب المعاصرين : لو كان البيروني حياً اليوم لاستحق بجدارة جائزة (نوبل) !

اما عن مؤلفاته ، فقد ادرج البيروني بياناً بمغلفها في مخطوطه (الفهرس) ومن أهمها كتابه « القانون » المسعودي ، وهو يعد اعظم موسوعة في علوم الفلك والجغرافيا والهندسة والرياضيات وينتهج فيه المنهج النقدي الموضوعي .. وللبيروني عدة مخطوطات علمية منها مخطوط : (راشيكات الهند) وكتلة (راشيك) معناها (موضع) وكتلة (راش) معناها : (برج) أي برج مراقبة النجوم والكواكب السابوية . كما للبيروني كتاب بعنوان (الرسائل المتفرقة في علم الهيئة) - وقد قامت دائرة المعارف العشانية ببيدرا اباد الدكن بالهند بطبعه سنة ١٩٤٨ - اما كتابه (الصيدلية في الطب) فقد نشر في برلين عام ١٩٣٢ ، ومن اهم كتب البيروني في علوم المعادن والبلورات والفترات هو : (الجواهر في معرفة الجواهر) ، وقد قام بتحقيق بعض فصوله المستشرق الألماني «ادوارد سخاو» ونشر في الهند ..

ومن اول مؤلفات البيروني الكبرى ، كتاب : (الآثار الباقية في القرن الخالية) ويبحث في التقاويم ، وترجم الى اللغة الانجليزية وطبع في لندن عام ١٧٨٩ . ونذكر في مايلي بعض رسائله وكتبه الشهيرة :

« التفهم لاولل صناعة التنجيم » و « جوامع الموجود لخواطر الهنود » و « تحديد نهايات الامكان لتصحيح مسافات المساكن » و « المستور في الفلك » و « كرية السما » و « امتحان الشمس » و « الارشاد في احكام النجوم » و « في تحقيق منازل القمر » و « افراد المقال في أمر الظلال » و « التطبيق في تحقيق حركة الشمس » و « جدول الدقائق » و « جدول التقاويم » و « المسائل

فهل قام العالم العربي والإسلامي ، بمثل ما فعل
الغريون من واجب التقدير وجبة في تراثنا العلمي
وكوننا الثقافية ؟!

وإذا كانت أصالتنا تنطوي على كل هذه الدخائر
التي كانت نتاجاً موسوعياً في عصر عربي إسلامي
مجيد قد مضى وانقضى ، فانظر كيف ، ولماذا أصاب
التدهور عصرنا وثقافتنا اليوم ؟!

■ حسني محمد بلوي



الهندسية ، و المصارمة في اخبار خوارزم ، وبغيرها
من الرسائل والمخطوطات في الطب والتاريخ والجغرافيا
والرياضيات والظواهر الجوية والآلات الملية والنيازك
والشهب ، وترجمات لهندسة (اقليدس) الى اللغة
العربية وفي قياس محيط الأرض ، وما يسميه الغريون
بـ (قاعدة البيروني) ، وله دراسات وابحاث في عمر
الأرض والبراكين والزلازل والتحولات الجيولوجية ،
وفي تأثير رحلات العرب في لغات الشرق والغرب ، وله
ابتكارات عن طريق وضع خرائط الأرض والسماء . وقد
قام البيروني بتصحيح جغرافية (بطليموس) ! ٠٠ كما
تعرض بالمعرض والتحليل لنظرية (تناسخ الأرواح)
عند الهنود في كتابه « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة
في العقل أو مردودة » .

وقد بلغت كتب البيروني ١٨٠ كتاباً ضاع
الكثير منها ..

ونختتم مقالنا بما قاله عنه المستشرق الألماني (شاخنت)

« كان البيروني ينتج بشجاعة فكرية فائقة ، وكان
مولعاً بالاطلاع العلمي أشد الولع ، بعيداً عن الأوهام
محبة للحقيقة ، متسامحاً ، مخلصاً لأبحاثه العلمية
اخلاصاً نادراً .. » .

ومن المرجح ان البيروني قد توفي في ٣ رجب عام
٤٤٠ هجرية (الموافق ١٣ ديسمبر عام ١٠٤٨ ميلادية .

وقد احتفلت مؤتمرات عديدة في العالم الغربي
بمناسبة مرور ألف عام على مولده فأصدرت أكاديميات
العلوم السوفييتية والأوربية والهندية مجلدات دراسية
تذكارية اعترافاً بفضل على العلم والثقافة الإنسانية
كما شاركت في ذلك هيئة (اليونسكو) منذ سنوات
عديدة فنشرت دليل (بيلوجرافياً للقيم الثقافية العربية
حوى بين دفتيه تعريفاً بالكثير من أعمال أبي الريحان
البيروني الخالصة عبر العصور ..

■ ان مقولات هذا الموضوع تضمنتها المعاصرة التي
القاهها الكاتب في المركز الثقافي الألماني (معهد جوتة)
بمدينة الاسكندرية في مساء الثاني من شهر نوفمبر
١٩٧٧ .

(١) فرانز أوستثال في كتابه : مناهج العلماء
المسلمين في البحث العلمي .

(٢) د . د اوليري في كتابه : فكر العرب ومكانته
في للتاريخ .

(٣) أبو الريحاني البيروني للاستاذ علي احمد
الشحات .

دائرة المعارف البريطانية - المجلد الثالث صفحة ٧١٠

(٥) ظهر الاسلام - الجزء الأول .



حوار مع الشاعر الباحث

محمد عبد الغني حسن

حسيير علي محمد

انضم أخيراً إلى مجمع الخالدين (مجمع اللغة العربية بدمر) الشاعر الكبير الأستاذ محمد عبد الغني حسن .

ومحمد عبد الغني حسن ولد بمدينة المنصورة بدمر في ١٩ من أغسطس سنة ١٩٠٧ من أبوين من مركز بيا محافظة بني سويف . وقد حصل على ليسانس كلية دار العلوم سنة ١٩٣٢ . وقد كتب في المراسلات الأدبية أكثر من عشرين كتاباً منها : الشعر العربي في المهجر - جوانب مضيئة في الشعر العربي - فن الترجمة وغيرها . وله في الشعر عدة دواوين أولها « من وراء الأفق » وآخرها « سائر على المرب » .

قد كان هذا الحوار معه في ١٠ - ٥ - ١٩٧٧ .

● كيف يمثل التراث تياراً دافعاً في حركتنا الأدبية؟

- أرجو من القارئ ، « المصري » أن لا يعد توجيه هذا السؤال من ناحية ، ومحاولة الجواب عنه من ناحية أخرى بعداً عن روح العصر واغراقاً في « السلفية » التي يؤسفني أن الجيل الحديث قد انصرف عنها ، وقطع ما بينه وبينها وكاننا يا أخي أصبحنا نعيش على اللحظة الحاضرة ، وعلى الساعة التي نحن فيها . وكان ما بيننا وبين ماضينا قد أنبت أواصره ، وتقطعت أسيابها فصار جيلنا المسكين منقطعاً عن ماضيه مبتوراً عن جذوره ، وصار كالولد اليتيم الغريد ، لا سند له من والدين ولا كيان له من أسرة ، ولا مرجع له من أهل ، وكيف يعيش مثل هذا اليتيم الحائر الضائع ؟

إن من الماضي له يحاول أن يخلق له ماضياً يصود إليه ، وقد راينا أمريكا كلها - بشمالها وجنوبها -

وهي حديثة الميلاد ، حديثة التاريخ بالنسبة إلى اسم أخرى عريقة الأنساب ، تحاول أن تخلق لها ماضياً مقدساً من ماضيها القريب الذي لا يتجاوز ثلاثة قرون أو أربعة ورايت بعيني في البرازيل كيف يتشبث القوم هناك بكل أثر أو معلم أو بناء لا يزيد عمره على مائة عام فيقيمون حوله الأسوار ويجذبون إليه الأنظار ويسجلونه على أنه أثر من الآثار ورايت القوم في شمالي البرازيل يتحدثون أعجب الأحاديث عن كنيسة بلغ عمرها قرابة ثلاثمائة عام ، ويعمدونها تراثاً عالياً وذخراً تاريخياً ثميناً فما بالك بتراثنا وآثارنا وهي ترجع إلى عشرات المئات من السنين ؟ وما بالملك بتراثنا العربي وهو يرجع إلى خمسة عشر قرناً ؟

ألا يدركك الزهو يا أخي وبغرك شعور العزوات تقرأ قصيدة لأمري القيس ، أو للناطقة الديباني ، أو لعمرد بن كلثوم كما كان يقرؤها هؤلاء القوم متفازة عشر قرناً ؟ وتفهم نصوص هذه الأشعار كما كان يفهمها

ونخله وغربلته واستخراج أكثر ما فيه ملامة ونعما
لزماننا الحاضر . لن يكون ذلك الا بالنشر العلمي
الصحيح لذلك التراث ، وتحقيقه على أسلم أسس
التحقيق ، والإفادة منه في المجالات التي يجتوبها .

وأذكر لك على سبيل المثال كتابين يعدان من مفاخر
التفكير الاسلامي : وكانا - ولا يزالان - رائدين في
موضوعهما . اما الأول فهو كتاب (السير الكبير)
للإمام محمد بن الحسن الشيباني تلميذ الإمام أبي حنيفة
وصاحبه ، وقد شرحه الفقيه البرخسي فكان الأصل
والشرح من معالم الفقه الدولي الهندي تزعم أوروبا انها
السابقة فيه . مع أن العرب والمسلمين هم أصحاب
الفصل الأول فيه .

فهذا الكتاب الثمين جدا يعد مصدراً قديماً اسلامياً
للقانون الدولي . ويكفيه انه - حتى بعد عصر الرومان
أول كتاب عالمي في الأحكام والقوانين الدولية المتصلة
بالحرب والسلم وآداب الجهاد والأمان واليهود ومعاملة
الأسرى على أسس من العقيدة الاسلامية والزرعة
الانسانية التي تميز بها الاسلام في تشريعاته ومعاملاته .

أما الكتاب الثاني فهو كتاب (أدب القضاء) لقاضي
القضاة شهاب الدين ابن أبي الدم الحوي الشافعي
المتوفى سنة ٦٤٢ هـ . ويقدم هذا الأثر النفيس
للمشعر العربي نموذجاً عالياً رفيعاً في نظام القضاء
عاماً وعملاً . ويضع بين رجال التشريع أثراً فريداً في
نظام المرافعات وأصول التقاضي . ونظام الدعاوى
ابتداءً من رفع الدعوى ، وانتهاءً بصدور الحكم وتنفيذه
وكان مؤلف هذا الكتاب - وهو من رجال أقرن السابع
الهجري - يضع تشريعاً قضائياً لهذا العصر الحديث
الذي نعيش فيه .

وتحقيق مثل هذه الكتب التراثية ونشرها اليوم
هو احيا للفكر العربي ، ووصل له وإجرا له الى
مجرى العصر الحديث . فهو ليس اعتزازاً بتحفة

أصحابها وسامعهم ، الا ما حدث من غرابة بعض
الألفاظ التي أضاعها عدم الاستعمال ، فان الاستعمال
هو في ذاته تجديد دائم للغة وأحيا مستمر لها .

ونحن لانتشبت بالتراث لأنه شيء قديم أو اثر عتيق
ولكننا نطلبه بالحاج لنصل ما بين ماضينا وحاضرنا
فلا ينقطع ذلك الرباط الوثيق الذي يشد أزمان الأمة
كلها بعضها الى بعض . وقد يكون في التراث القديم
ملاذيلنا حضارتنا المعاصرة ، لأنه كان مناسبة فسي
زمانه ، وموائمة فسي أبنائه وملائماً لأذواق أهله
واحتياجاتهم في عصورهم القديمة . ولكننا نستطيع
أن نحول ، هذا التراث الى مجرى حياتنا المعاصرة
وإن نجعل منه مادة ملائمة لزماننا هذا ، وإن نبني عليه
أسس حضارتنا الحديثة .

ألمست ترى معي أن أوروبا في عصر نهضتها قد التجأت
الى اللغتين القديمتين : اليونانية واللاتينية ، وجعلت
منهما سبباً لقيام نهضتها ؟ ثم ألم يعلم هؤلاء المتنكرون
لتراثهم العربي ، أن الثقافة اليونانية واللاتينية كانت
هي الأسس في مدارس أوروبا وجامعاتها منذ العصور
القديمة ؟ ولولا روائع اليونان والرومان فسي الفكر
والفلسفة والخطابة والأدب والقصص والتاريخ
والرياضة لما بلغت أوروبا ذلك المبلغ العظيم الذي وصلت
اليه منذ عصر نهضتها .

فأوروبا الواعية العاقلة ، والغرب المتنبه الميقظ لم
يمسك بغاس ليحطم ثقافة اليونان والرومان ، ويقول
عنها انها ثقافة عتيقة غير ملائمة ، ولكنه أخذ هاتين
الثقافتين وأجراهما مجرى حياته المعاصرة ، واستخرج
منهما مادة صالحة و د خامة عظيمة لاسباب تقدمه
الفكري .

وما أوجنا نحن إزاء تراثنا العربي الى نشره وتقبله

قديمة ثينة ، ولكنه انتفاع بها ، وتحويل وجه النفع بها الى جيلنا الحاضر .

ولقد كانت مصر نشطة منذ أكثر من عشرين عاما الى احياء التراث على اسس سليمة ، وكان عندها نخبة من المحققين من امثال الاساتذة : أحمد محمد شاكر ، واحمد زكي العلوي ، ومحمود محمد شاكر ومحمد ابو الفضل ابراهيم ، والسيد صقر ، وعلي محمد البجاوي وغيرهم من اهل الفضل والعلم ممن يحول المقام بيننا وبين نشر اسماهم . ولكن بعض البلاد العربية اليوم قد دخل في هذا الميدان فأحسنه . وهنا نذكر بالاعجاب تلك الجهود الرائعة الموقفة التي يقوم بها مجمع اللغة العربية بدمشق .

في هذا السبيل ، فمطبوعاته التراثية حافلة ، وتمتاز بالتحقيق الجيد ، والاخراج الأنيق ، والطبع السليم الخالي من الأخطاء والتعريفات .

ان حركة النهضة الأدبية في مصر في القرن الماضي قد قامت على اكتاف حركة احياء التراث العربي ونشره وجهود المطبعة الأميرية في هذا المجال لاكثر . فلما اطلع الناس على كتب التراث التي طبعت وأزيح عنها الظلام فتحت عيونهم على روائع من الفكر العربي والأدب العربي تنبهوا لها ، وحاکوها . ومحمود سامي البارودي وعبد الله فكري ، والشاعر شهاب الدين وعلي ابو النصر ، ومحمود صفوت الساعاتي ، وعثمان جلال ، والشيخ حسن المطار ، والشيخ حسين المرصفي (صاحب الوسيلة الأدبية) ، وابراهيم الموليحي والشيخ علي يوسف ، هم بعض نتاج هذه النهضة .

وكذلك الفترة التي انجبت طه حسين ، واحمد امين ، والعقاد ، والبشري ، ومصطفى الرافعي ، ولمازني وصديق عبير ، واحمد ضيف ، ومحمد عبد المطلب . واحمد الاسكندري وعلام سلامة . وغيرهم . فقد قرأ هؤلاء كتب التراث المطبوعة . وافادوا منها فائدة عظيمة ، بل كان بعضهم يحفظها عن ظهر قلب .

فلا أمل لنا في تقدم الحركة الادبية الا بالرجوع الى التراث العربي . ولعله من الملاحظ ان الأدباء الذين يستمتعون اليوم بأصالة وعمق أدبيين هم أكثر الأدباء اتصالا بالتراث العربي ورجوعاً اليه .

ولا تعوزني الأمثلة من أمثلة : د . شوقي ضيف ، ود . حسين نصار ، وعلي أدهم المفكر ، وسلامة موسى ، وعبد الحميد العبادي المؤرخ ، ود . احمد السحوي ، ود . بدوي طبانة ، ود . زغلول سلام سلام وغيرهم .

■ ما رأيكم في حاضر الأدب العربي : ابداعاً ونقداً ؟ وهل تقوم المجالات الأدبية بنورها في آراء الحركة الأدبية ؟

على الرغم من طرود بعض العناصر المسببة (للهمزال) في الأدب العربي الحاضر ، فاني لست متشائماً من غيره . وما تلك العناصر الموقاة الا طوارىء عارضة قد يكون لبعضها بريق خادع – كحركة الشعر الجديد ولكن البقا. دائماً للصلح . لقد كان ظهور كتاب واحد جيد يعد علامة من علامات الزمن ، او معلماً من معالم الطريق . فقد كان كتاب « طبائع الاستبداد » مثلاً للكواكبي – بشرى بزلزلة قواعد الحكم المستبد المطلق وظهور الحكم الشورى في العالم العربي . وقد كانت (عبقريات) العقاد نواة لتفسير كتب التراجم والسيرة في الأدب العربي الحديث . وقد كان كتاب مثل كتاب « قضايا الفكر في الأدب المعاصر » للأديب المفكر المصين وديع فلسطين ايذاناً بانشغال الافكار بهيوم الفكر العربي وقضاياها . ويكفي ان نخرج كل عام بكتاب أدبي واحد يستحق ان نقول عنه انه كتاب ، وان نضعه في مصاف الكتب الأجنبية التي تزخر بها المكتبة الأوربية او الأمريكية . واذا كنا الى الآن لم نطفر بأديب عربي حظي بجائزة نوبل فانه لن يغيب عنا الظروف السياسية التي تحيط بنجع هذه الجائزة . وقد يكون لاشتقاق اللغة العربية من لغة سامية غير

■ حوار مع الشاعر الباحث محبة عبد الفتي حسن

آرية أثر في حرمان الإنتاج فيها بالتقدير العالمي ، ومع الترجمة إلى اللغات الأجنبية سيزيد التقدير لفكرنا وأدبنا المعاصر .

« المجاملات ، واعتبارات أخرى غير أدبية في الكتابة فيها !! »

لقد كان الدكتور يعقوب صروف يؤرقه السهر على تحرير « المقطف » حتى تخرج كل شهر لافتة بالقول: العربي والمتقف العربي وقد كان الشيخ إبراهيم النازجي كثير الأرق والسهر على تحرير مجلاته ومنها « الضياء » وكان اظنون الجميل ساهراً على تحرير مجلة « الزهور » حتى صارت تحفة في عالم الأدب والصحافة الأدبية ، وكذلك كان محمد حسين نائيل الرضوي مع مجلة « الجديد » ، ولم يقل عنه البرقوقي أرقاً وسهراً وهذا لإخراج مجلة « البيان » .

وليفهم مصدرها مجلات (الثراء ، البترولي) ان المسألة ليست مسألة ورق فضيل ، وصورة ملونة ، وإخراج غائبين بما تتيحها إمكانيات النقط . . . ولكن المائدة المنشورة هي ذات المحل الأول في الاعتبار . . مع عدم اغفالنا لأثر الورق الجيد ، والحرف الجيد والإخراج الجيد .

■ هل ترون انه سينمو جيل من الأدباء في هذه الظروف : غلا الورق ، وتعذر الطباعة ، وعدم إتاحة القصر أمامهم ؟

– وعني كانت الظروف ياخي حائلاً بين الأدباء الموهوبين والإنتاج الأدبي الجيد ؟ ان الأديب الحق يحتال على كل الظروف ليقوى أمامها . ويتغلب عليها ولن تقف أمام موهبة عبقية مهما كانت ولعلك تسود ان تعرف ان الاطام ابن سهل أمير عيسى القاضي ومن كبار رجال الأحناف أملى كتابه (المبسوط) في الفقه الحنفي وهو سجين بالجبل في (أوزجند) بولاية (فرغانة) . ولم تمنعه قيود الحديد في السجن ان يؤلف كتاباً واسعاً يمد حجة في فقه الإمام أبي حنيفة .

ان (الأصالة) هي العنصر الذي يقتضيه أدبنا المعاصر فأغلب كتابنا المعاصرين يقرعون كتباً غير عربية ، ويتأثرون بها . ويحاكونها ، ويقتدون بها . . . تشبهاً مع نظرية ابن خلدون القائلة باقتفاء المقلوب أثر الغالب وقد طلبنا مغلوبين – سياسياً – زماناً طويلاً ، فلا بد من وقت مناسب لكي يظهر استقلالنا الفكري ، ويضع منا أثر (المقلوبة) . . . ولن يكون هذا اليوم بعيداً وعلى الرغم مما تقوم به بعض مجلاتنا الأدبية في هذا السبيل . فان أثرها لا يزال محتاجاً الى بروز . . . ثم ماهي هذه المجلات التي أخذت تتضائل وتنكمش وتنحرف عن رسالتها الى أغراض أخرى ؟ أنظن معي ان (الهلال) اليوم هي الهلال منذ أربعين أو ثلاثين عاماً ؟ واين كتابها من طراز محمد حسين هيكل ، ومحمد مصطفى المراغي . واحد زكي باشا ، وطه حسين ومحمد فريد وجدي ، ومحمد كرد علي ، وأنيس المقتضي والعقاد ، وسلامة موسى ، وحسن الشريف ، وعبد الرحمن شكري ، والبريديسي ، وجرجي زيدان وغيرهم ؟ .

وجل (الثقافة) الحديثة ، و (الرسالة) الجديدة هما ثقافة احمد أمين ورسالة احمد الزيات ؟

وجل عندنا بصير غير (الهلال) و (الثقافة) التي يراس تحريرها أخونا الدكتور عبد العزيز السوقي . أما مجلة (الوعي العربي) التي تخرج من مدينة القاهرة فهي تمثل اتحاد الجمهوريات العربية ، ولكنها لا تنسج الى مايشمل آفاق هذا الاتحاد . ولقد ظهرت في بلاد النفط العربي مجلات وثيقة الإخراج كـ « مجلة » العربي ، و « الدوحة » ، و « المجلة العربية » . . . ولكن لاتزال تدخل

صحيح ان غلاء الورق ، وتمذر الطباعة قد تشكلت
« عائقاً » مؤقتاً أمام بعض اصحاب المواهب الأدبية
النامية ، ولكنه عائق لا يلبث ان يزول . وإذا لم يزول
فان الأديب الحق يحرص على ازالته بما أتاحت له
الأقدار من موهبة أدبية . ان الأدب ارادة للحياة ، وهل
تقف عقبة أمام ارادة الحياة ؟

لقد أفاض الامام الجاحظ - على ما اذكر - في تلك
التبئة التي تخرج من قلب الصخرة الصماء مخترقة
سواء الصخر وصلابته لتنتج نحو الشمس مصدر
الضوء والحياة - لأنها تريد الحياة - فلماذا تخشى
على الأديب الموهوب من ظروف طارئة مؤقتة ؟ ان
« امام العبد » الشاعر البائس تغلب على ظروف فقره
ويؤسسه فصار شاعراً مرموقاً وكذلك فعل
« عبد الحميد الديب » ، وفعل « ابراهيم الدباغ »
و « محمد حافظ ابراهيم » الذي سعى الى ان كاد ينتحل
الدم كما قال في شعره . وكاد يطفى سراج حياته
بيديه انتحاراً وبأساً من الحياة ، ولكنه عاش بعد ذلك
اكثر من ثلاثين عاماً ، وظفر بوظيفة طيبة في دار الكتب

وخالط العظماء واحرار الفكر من امثال الشيخ محمد
عبد ، وسعد زغلول ، واحتل في الشعر العربي
المعاصر المكان الثاني بعد احمد شوقي ، وقبل
خليل مطران .

وليس هذا هو الشأن في الأدب وحده ، ولكنه الشأن
ففي العلوم والفنون . فالسرخسي العالم الفقيه
لم ينته السجى ان يؤلف كتاباً ضخماً يدعى « شامخة
في كتب الفقه الاسلامي » . ولم تمنع العقبات « سيد
درويش » ان يكون ملحناً رائداً مجدداً في الموسيقى
والغناء العربي . وهو اذا لم يأخذ حقه كاملاً في حياته
فقد انصفه الزمان العادل بعد مائة .

لاتخشى يا اخي شيئاً على الموهبة الأدبية ، والأديب
الموهوب : فان الطريق أمامهما مهما طال ووطن انه
طريق شائك مسدود ، فهو طريق موصل الى الحق ،
والى الانصاف الذي لا يبخل به الزمان على من يستحقه .

حسين علي محمد - دوبر نجم - الشرقية - مصر

الحروب الصليبية

تَنْقُلُ الحضارة العربية الى الغرب

الدكتور طه اسحق الكيالي

اقد أصبح من الامور المسلم بها اليوم ان الحروب الصليبية كانت من اهم العوامل في نقل الحضارة والثقافة من الشرق الى الغرب .

ويعرف لاروس الصغير والموسوعة العربية بانها حملات أو حروب ثمانية قام بها مسيحيو القرون الوسطى (من القرن الحادي عشر ١٠٩٦ الى الثالث عشر الميلادي (١٢٩١) الى الأرض المقدسة لطرد المسلمين منها .

بينما تعرفها الموسوعة العالية بانها حملات عسكرية نظمتها الكنيسة لاتخاذ الأرض المقدسة .

الطريق البري . كما واباد الأتراك أعداداً أخرى أثناء مرورهم في آسيا الصغرى .

وتوفقت هذه الحرب الاولى في ايجاد مستعمرة غربية بالقدس كما وشجعت على القيام بحملات جديدة لدعم الأولى ولكنها ابيدت أثناء الطريق .

والحرب الثانية (١١٤٧ - ١١٤٩) باءت بالفشل . وفي الفترة ١١٨٩ - ١١٩٢ قامت حرب ثالثة اثر تغلب صلاح الدين الايوبي على جيوش ملك القدس غسي دولوزيان في حطين واستعادته القدس .

مما دفع الغربيين لارسال حملة ثالثة سار فيها ملك فرنسا فليب أوغست وملك انكلترا ريتشارد قلب الأسد اللذان سلكا طريق البحر بينما سلك الامبراطور

والحرب الاولى كانت حجة أكثر منها حرباً . فقد أزد البابا أوربان الثاني وقبله فكر البابا غراغور السابع ان يرسل محاربين غربيين لنجدة الامبراطورية البيزنطية المهددة من قبل الاتراك السلجوقيين .

وهكذا كانت الحرب الأولى مزيجاً من جيوش نظامية بقيادة عدد من الأمراء كجوفروادو بيون ، دوق اللورين ، وأخوه بودوال ، وكونت فرمندا ، وكونت بلوا ، ودوق نومانديا ، وزيون دو سان جيل ، كونت طولوزة ، وبوهييون دو فارانت ، على رأس نورمان صقلية أما المجموعات الشعبية فكانت برئاسة بطرس الراهب وغوتيه سان زفوار (غوتيه الفقير) بارون الراين .

وقد انتهجوا طرقاً أربعة مختلفة على أن يتم التلاقي في القسطنطينية . ولكن أعداداً كبيرة منهم هلكت في

ومن الآثار الهامة التي تركتها الحروب الصليبية في التاريخ والأدب هو أن أول كتب القرب في التاديب وضعت خلالها . فكتب جوفروا دو فيلهار دوآن تاريخاً عن الحروب الصليبية الرابعة وجان دو جوفانيل مستشار القديس لويس مذكرات عن الحروب الصليبية التي اشترك فيها .

وتقول الموسوعة العالمية حين الكلام عن نتائج هذه الحروب بأن التماس الذي حيات له كان له أعماق الأثر في نقل الحضارة والثقافة العربية واليونانية إلى الغرب بالإضافة إلى الطريق الآخر والأهم وهو اسبانيا .

لم تكن الحملات عسكرية فقط فقد كان يرافقها كثير من الحجاج والتجار أو الاستفادة من الصنائع والأعمال التي يجيدونها في الشرق .

ويقول ميشو : أن الأفضلية في مجندي الحملات الصليبية كانت لأصحاب المهن والصنائع .

يقول رسلر : بأن الصليبيين تعلموا في الشرق نفس الأقنعة بالروح من الخشب . وقد كان لهذه الطريقة أثرها العام في نشر الطباعة وتطويرها . كما تعلموا الكثير في صناعة الأقنعة والنسج التي كان الشرق يزرع بها .

ومن الصناعات الكثيرة الانتشار في الشرق صناعة الخشب والحفر والنقش والمعادن والأسلحة . وقد ورد في كتب التاريخ القديمة أن مسيحي القدس كانوا يذهبون إلى دمشق لشراء الأسلحة من معاملها .

ويروي جوفانيل أنه اشترى من طرابلس الناصجة قممات يدعى « الشمال » قمم هدية للملكة مرغريت فظنته في بادئ الأمر أثراً مقدساً فرمته لأخذه . وقد كلفه لويس التاسع بشراء كمية من هذا القماش .

كما وأن صناعة الحرير التي كانت نامية بشكل كبير جلب أنظار الصليبيين فأمر ملك صقلية بوجبه الثاني في حوالي منتصف القرن الثاني عشر بنقل بعض أنوال « النسج » إلى بالرمو .

فريدريك باربروس طريق البحر . ولكنه لم يلبث أن مات غرقاً وانهاضت حملته أما الحملة البحرية فقد انتهت بالاستيلاء على قبرص وتأسيس مملكة غربية فيها وبمعاهدة مع صلاح الدين الأيوبي (١١٩٢) .

أما الحرب الباقية فقد مات جميعها بالفشل وأهم ما يستحق الذكر هو أن السابعة والثامنة كانتا بقيادة ملك فرنسا لويس التاسع أو القديس لويس . فانهت السابعة بأسره (١٢٥٠) والثامنة بموته أمام تونس .

وقد قامت حملات أخرى أشهرها حملة الأطفال والتي انتهت ببيع القسم الأكبر منهم كعبيد وأرقاء في مصر (١٢١٢) وحملة الرعيان التي قامت لانتقاد أتقيس لويس من الأسر وبات بالفشل .

وقد استمرت الحروب الصليبية بشكل منظمات دينية حربية لحماية الديار المقدسة كالتامبليه والهوسبياليه (في رودس ومالطة) ولذين بقيا حتى نهاية القرن الثامن عشر في حرب دائمة مع الأتراك وعرب أفريقيا .

وينتهي لاروس الصغير إلى القول بأنه إذا كانت الحروب الصليبية قد فشلت من الوجهة العسكرية فانه على العكس كان لها نتائج هامة ومتعددة فقد كانت السبب الرئيسي في رقي الملاحة وتبديل الأوضاع الاقتصادية في العالم الغربي ، وسببا في نقل الحضارة الغربية اليونانية إلى الغرب .

وقد حدثت خلال الحملات الأولى فواجع بحرية بسبب جهل البحارة وعدم معرفتهم بقوانين الفلك والملاحة ولكنهم لم يلبثوا أن أخذوا عن العرب البوصلة والأسطرلاب فأصبحت الملاحة أكثر أماناً وأقل خطراً كما وأن صناعة السفن تقدمت تقدماً كبيراً بسبب الحاجة الملحة إلى سفن كبيرة فزيد في عداد الصواري والقلاع بغية الضخامة والسرعة والأمان . وقد كان تقدم الملاحة هذا السبب المباشر في تجرؤ البحارة على المخي في البحارة الكبيرة واكتشاف أمريكا وغيرها من العوالم الجديدة . ومن آثارها أيضاً تقدم التجارة البحرية فوجدت موانئ ومرافي جديدة وكثيرة كرسيليا والبندقية وغيرها .

نقول بالوحدة الكبرى وليس بنا
نقول بالوحدة الكبرى وامتنا
لو يؤمنون بها قالوا لما بقيت
لو يؤمنون لما اخني على وطني
لعاد قطران من اغوار غربته
وداحت الشهب السماء ثانية
لاتمد في كل افق زاخر لجب
افديك يالهب الجولان من لهب
لولاك ما اثلت عين ولا ومفت
لولا الشهيد ولولا الجرح مستعرا
لما تحسست ذاتي الا لست ٠٠ بها
فليكلا الله شعباً ضم سارية
وليرقب الفجر زحفا ثانيا ولظي
غفوا اخي وليؤم الدهر ملحمة
نم هانئا واحتسب كل العلا فلقد
كل البنفسج في تشرين موعده
عليك رضوان ربي كلما اتكات
ولتبق مصيف جفنا حانيا وندي
وانت يازوجة الآسي وياشهبها
ماذا اقول لافراخ يروح بها
ماذا اقول لاطفال بوالدهم
هل كان لابد ان ينهد كاسهم
يارب عفوك لا تقلد لما صنعت
وانما لست ادري كيف يؤنسنا
امننت بالله ولتنفذ مشيئته
وان كل دبيع مقفر خرب

الا الذي يشد القربى ويانكل
دويلة في رقاع الشرق او دول
شراذم في دروب القدس تقتتل
لون من الذل لايرضى به دجل
يعرك المسجد الأقصى ويحفل
ترمي المحيطين والرايات والقلل
وند من كل شبر سيد بطل
تمود من خلفه الدنيا وتشتعل
وازيئت في اقاصي ليلنا الشعل
خلف الشرايين يستهدي ويعتمل
نفسا بكل العروق السمير يتصل
تلتف بالقدر الرامي وتكتحل
يفور في جانبيه النار والازل
حنئت على دوزخ الفواج تمثّل
اديت اروع ما يصبو له رجل
اكان بالسيف ام بالعلم يغتزل
لديك زنبقة او دنقت مقل
فكل ماشاء الاحباب محتمل
زغيا تدب على النجوى وتنتقل
دمع ويفسد نحيب صاخب عجل
وهم على تربه يارب قد ذبلوا
وهم على جفنة الاحلام والامل
مشيتك ولا كفر ولا ملل
يتم الوليد ويرضي حلما الطلل
فانها فوق ما تقوى ونحتمل
ان ند عن دوتنا الاحباب او رحلوا

■ نجم الدين صالح ■

أهمية المكتبات

بقلم : نعمت غندور صعب

ودخلت مؤخرا التكنولوجيا لخدمة المكتبات ، وكثرت الوسائل التي يسهل باستعمالها عمل المسؤولين . ان العمل بالمكتبات يتطلب كثيرا من طول البال والتأثير والدقة . فان ساعات طويلة من العمل تعطي نتيجة بسيطة .

وبدأت التكنولوجيا تقدم خدماتها الآلية لانجاز الاعمال المطلوبة . واصبحت الاعمال التي تتطلب الساعات تأخذ الدقائق بفضل الاجهزة الالكترونية . وما هو بناء المكتبة في جامعة أوهايو في الولايات الاميركية المتحدة المألف من ستة طوابق مجهز بجهاز الكتروني خاص في الغرف التي تحفظ بها الكتب يستعمل لاقتناء الكتب وسحبها وايصالها لطالبيها بعد اختيارها بواسطة جهاز تصوير خاص . كل ذلك يأخذ دقائق معدودة يحصل خلالها القارئ على الكتاب الذي يطلب . ويستعمل ايضا هذا الجهاز لارجاع الكتب الى اماكنها في غرف الحفظ .

تزداد أهمية المكتبة في مجتمعنا العاصر . احصاء عدد المكتبات فيه ، وكلما ارتفع مستوى الثقافة واصبح بإمكاننا الحكم على مستوى تقدم المجتمع بعد كلما شعرنا بالحاجة الى المكتبات . ان المكتبة هي العنصر الاساسي لنشر الثقافة وتنوير العقول . وهي تشغل الاشخاص بأشياء مفيدة . لذلك نرى حكومات البلاد المتقدمة تعني بإنشاء المكتبات وتطويرها ، وتخصص ميزانية خاصة لإنشاء مكتبة عامة في كل حي من الاحياء ، يؤمها الناشئون في أوقات فراغهم . فيصبح الذهاب الى المكتبة جزءا من حياتهم اليومية . وتقع المسؤولية على المسؤولين عن المكتبات لمعرفة اختبار الكتب لترغيب القراء . وليست المكتبة الكتب لوحدها بل الكتب والجو الذي يسود المكتبة . ويتأثر الجو بالاثاث والكماليات التي تتألف منها المكتبة . ولذلك عني المسؤولون عن المكتبات بعناية خاصة بالاثاث ووسائل التنوير لكي تضفي على المكتبة جوا ترحاب الى النفوس ويرتاح اليه النظر . وللاولان تأثير مهم على جو المكتبات ، ولاخيار الفروشات وتناسقها أهمية كبرى . والفروشات التي توفر الراحة هي التي تكون الانسب والاحسن .

وما يزال هذا الجهاز محدود الاستعمال . ولم ينتشر بعد . ويستعمل الآن في أربع جامعات وأنامل عندما تقل تكاليفه أن يكثر استعماله .

وبانتظار تعميم ذلك الجهاز زادت الحاجة مؤخرا الى أشخاص يلعبون بأدارة المكتبات وخاصة في المدارس الثانوية حيث يكثر الطلاب الذين يترددون على المكتبات للحصول على بعض الكتب الضرورية لدروسهم . وتشجعا لتدريب الأشخاص الذين يرغبون العمل في المكتبات عملت سيدة اميركية اختصاصية في علم المكتبات وفي ادارتها سنين عديدة لوضع اسطوانات بمثابة دروس في علم المكتبات . قسمت التدريب لاثني عشر درسا . فكل من يرغب الحصول على بعض المعلومات عن سير العمل في المكتبات فما عليه الا الحصول على هذه الاسطوانات واتقانها . فيتنق بذلك الطالب المعلومات اللازمة عن كيفية سير العمل في المكتبات قبل ان يبدأ التدريب التطبيقي .

ولكن لهذا النظام متطلبات استثنائية منها :

اولا : ان دوام المكتبات يجب أن يتوسع ليشمل كل النهار وجزءا متقدما من الليل للساعة الثانية عشرة ليلا .

ثانيا : ان على رواد المكتبات ان لا يتناولوا كتبهم ويغادروا المكان بل ان يبقوا داخل المكتبة وهذه الترتيبات تتطلب امكنة واسعة ، ومريحة للقراءة والمطالعة وتطلب أيضا عددا أكبر من الموظفين ليشرفوا على مساعدة رواد المكتبة لايجاد كتبهم المطلوبة ولهذا سميت هذه المكتبات مكتبات البحث والتنقيب لانها تفتح أبوابها للباحثين والاساتذة وتلازمة الدراسات العليا . وبانتشار هذه المكتبات في الاوساط الجامعية أصبحت الحاجة الى التدريب على العمل في المكتبات أكثر إلحاحا . وتشجعنا وترغبنا لهم وضعت السيدة

الاميركية المذكورة اعلاه اسطوانات الدروس التي ورد ذكرها .

وتشجعا للتعاون بين المكتبات ولتبادل المراجع استنبطت جامعة فلوريدا صفائح ميكروفيش ٤ انش عرض و ٦ انش طول ، لتكون صورا طبق الاصل لمحتويات البطاقات ولتعمل هذه بواسطة جهاز آلي او الكمبيوتر . مثلا يوجد ما يقارب ١٢٠,٠٠٠ مئة وعشرون الف بطاقة مراجع جميعها مرتبة وموظبة حسب الموضوع وبند البطاقات سجلت المراجع على لوائح ميكروفيش وبواسطة الكمبيوتر بإمكانك بلصق البصر الحصول على صور بطاقات لمجموعة الكتب المتوفرة في البطاقات لاي موضوع تعينه . وبإمكانك دفع ما يقارب الدولار واخذ الصورة ومقارنتها مع ما هو من مراجع في مكتبات أخرى . وتشجع هذه الطريقة لمقابلة المراجع بين الجامعات المتخصصة في موضوع من الموضوعات ، وهي تسوفر على الباحث الكثير من الساعات التي يقضيها في البحث عن المراجع والتأكد منها واستطلاع المزيد منها .

وتم اكتشاف « قاري » جديد ههنا تسهيل القراءة للمكفوفين . وهذا القاري المعروف باسم اوبست كون يمكن المكفوفين من قراءة الكتب المطبوعة طباعة عادية بسرعة ٦٠ كلمة في الدقيقة . وعرض القاري المذكور في المؤسسة الكندية لمساعدة المكفوفين في تورونتو في كندا . ووجد أنه مفيد جدا .

ان « القاري » كتابة عن جهاز لايزيد حجمه على حجم المسجل النقال بوتابل ووصفه المهندس السيد جيمس بليس بأنه الوسيلة التي تؤدي أكبر خدمة للمكفوفين بعد اكتشاف نظام الحرف النافر برايل الذي اكتشف عام ١٨٢٤ .

ان هذا الجهاز يحتوي على بوصلة صغيرة لها تركيب الكتروني تر فسوق الحرف الموجودة في

وفضلا عن ذلك أجرى العالم النفساني والخبير في مشاكل الأشعة البصرية السيد مرجوري كريس عدة تجارب اختبارية على هذا الجهاز ، وتبين له أن لهذا الجهاز فوائد ومنافع أخرى ومنها استعماله لتسهيل عملية تعلم اللغات الأجنبية . وفي عالم الاكتشافات التي تسهل المعرفة وتسهل الحصول عليها لجمعها في متناول كل من يشدها .

أدت إدارة المكتبة العامة في جامعة لوس أنجلوس خدمة مفيدة . وتوصلت لتكريب عداد آلي كمبيوتر بإمكان الكبار والصغار استعماله لأهداف ثقافية بحتة وهذا الجهاز له تركيب خاص يمكنه من تلقي أسئلة توجه إليه في قاعة المكتبة العامة . وهذا الجهاز له اتصال الكتروني بجهاز آلي أخري الجامعة الذي يتصل بفوره بنك معلومات داتا - بنك كجامعة جنوبي كاليفورنيا . ففي الوقت الذي يتلقى الجهاز الآلي القائم في المكتبة الأسئلة بواسطة جهاز الكتروني الي بنك المعلومات وفي بنك المعلومات جهاز آلي يعمل أوتوماتيكيا ويسمح الأجوبة المناسبة لكل سؤال ويردها بنفس الطريقة والوسيلة التي وصلت إليه أي يردها الي الجهاز الالكتروني الموجود في المكتبة . وهناك يتلقاها الشخص الذي وجه السؤال المعلن . ولهذا الجهاز عدة فوائد منها للتعليم الذاتي في مواضيع مختلفة وخاصة في المواضيع الحسابية .

إن إدارة مكتبة لوس أنجلوس العامة بحاجة ماسة الي اختصاصيين فنيين في استعمال الأجهزة الآلية وهي بحاجة الي اختصاصيين بياديين مختلفه ليعملوا في بنك المعلومات . فبالرغم من أن العلم والمعرفة يصحان بهذه الوسيلة بتناول الجميع ، إلا أن التقدم التكنولوجي لا يستغني عن العقل الانساني الذي يحركه ويحرك الآلات التكنولوجية لخدمة الانسانية .

إن الخدمات المكتبية التكنولوجية تتحسن وتقدم تقدما سريعا ومطرادا . ولكن دور الانسان المخترع لهذه الخدمات والتنظم لها مايزال هو الدور الأهم .

الصفحات العادية وتنقل توجهاتها الي جهاز آخر متصل بإصبع الشخص المكثف وهكذا وبجرد انتقال توجهات الاحرف الي الشخص المعني يستطيع استيعاب محتويات الصفحة . وهذه الموصلة مركبة بشكل تضبط سرعة مرورها فوق الاحرف وتعطي اشارة خاصة عند انتهاء مرورها فوق كل صفحة من صفحات الكتاب . إن استعمال هذا الجهاز يتطلب تمرينا خاصا لكي يعتاد المكثف توجهات الاحرف المختلفة والمتنوعة .

وفي مجتمعنا الحاضر للكثوفين حقوقهم ومسؤولياتهم ، ولا يعاملون مثلما كانوا يعاملون في السابق كأشخاص ليس لهم مؤهلات أو كإفراد موقوفين . والنظر أساسي بالنسبة لكل عمل يقوم به أي انسان ، ولكن علينا أن نعتبر أن المكثوفين يتفوقون في ميادين يصعب على الانسان العادي أن يتفوق فيها . واستنادا لهذا الاحساس واحتراما لحقوق المكثوفين خصصت إدارة مكتبة الكونغرس الاميركية ميزانية خاصة لطبع ملخصات الكتب التي تصدر شهريا بالطريقة النافرة . فمنذ كانون الثاني سنة ١٩٧٤ أصدرت المطبوعات الشهرية للمختصات الكتب بالطباعة العادية وأصدرت نسخة أخرى بالطباعة النافرة . وسألت كل من يهه الامر أن يختار الطبعة التي يرغب في استلامها . وتوصل السيد جون مرشنت المهتمس في مركز الأشعة في هاستاشوستس الى تركيب جهاز خاص سماه « اوكلومتر » . ووظيفة هذا الجهاز الاساسية هي اكتشاف الاسباب البصرية التي تسبب بطء القراءة عندما يرسل هذا الجهاز نورا خفيفا عن العين المجردة حتى على بعد خمسة أقدام من الشخص المعني ، يكشف المشاكل البصرية التي تترض القاري وكثيرا ماتسبب له بطء في القراءة أو بطء الاستيعاب . إن عملية سرعة استيعاب ما يقرأ تتطلب في الاساس بصرا سليما ، ولهذا السبب كثيرا ماتجهل العامة أن سبب بطء الاستيعاب لا يعود دائما الى مستوى الذكاء ، ولكن يعود في كثير من الأحيان الي مشاكل بصرية تعترض القاري .

ولماذا المتنبي؟

بقلم:

الدكتور محيي الدين رمضان

المتنبي موضوع لا ينتهي :

هو من المعاني الخوائد ، مازال الدارسون يتعاقبون عليه ما بين دارس نالده ، ومعجب بشعره ماح ، وما بين متسقط للهفوات مترصد للسقطات ومقيل للشرائح متدبر للمآخذ منافع .

ولست انا بكلتي هذه من اولاء ولا هؤلاء ، غير ان اسباب كلامي منعقدة باسبابهم . ولا بد من ان اقترب من فريق من بين هؤلاء الفراء . وان كنت عذمت على ان اخلي بيني وبين المنازع التي عنها صدر كل من تقلمني ، سوى مواقف لبعض من هؤلاء وهؤلاء ، كانوا حاولوها ، اخص منهم صاحب الوساطة ، همدوا حيناً وجنحوا آخر .

نتائج الأدب وأحكامه :

ولكن أقول : هل يمكن أن ينتهي الدارسون سواء المناصرون لموضوع من الموضوعات أو المعارضون إلى نتيجة ؟ وإلى أين يمكن أن ينتهي هؤلاء هؤلاء ؟ وما قيمة كل نتيجة يحققونها ، إلى آخر ما يخطر بالبال من أسئلة أو ما يحتمله موضوع من تلك الموضوعات المثارة ؟

فإن القطع بحكم على موضوع من ذلك أو على جانب أو جوانب منه لشيء يتنافى وحقائق الأدب التي استنتجت من وقائعها المختلفة طوال أزمنة مديدة - فكيف من دارس وناقدا رجوع في قابل حياته عن حكم قطعه في دأبرها لما تبين له بعد أن الحق الذي ناصره ، أو النتيجة التي حققها لم تكن في جانبه - وفي كل حال فإن أحكام الأدب لابد من أن يداخلها مثل تلك الأحوال غير الثابتة ، كي تتناسب ومنشأ الأدب وأحواله الأولى التي عنها صدر ومنها تولد ، ذلك لأن الأمر لحلقة منعقد على الإنسان في أطواره المتباينة ، وعلى ماورته عن أجيال عديدة كمن في ذاته واستقر في نفسه ، يتردد مع ما يطرأ عليه هو من أحوال بينته المختلفة .

سبب الحاج البحث في المتنبي :

وإذا سلمنا عن سبب هذا الالتجاء الملح الذي استقطب ذلك الحشد من الباحثين والناقدين والدارسين فتناولوا المتنبي في أكثر من جانب فيه ، اجتذبنا تلك الجوانب والبهتان بعضهم لما توافر فيه من خصائص تأخذ الدارس ، فمعانيه إذا سمعها فكأنك تسمعها لأول مرة حتى الشعر الجاهلي تخاله لم يتضمنها أو فاته كثير منها .

معانيه :

وكان هو يعرف ذلك ويدل به ، يقول :

مسائل أهل الجاهلية لعلهم

شعري ولا سمعت بشعري بابل (١)

وإن هو عرض لمعنى من تلك المعاني وأيت في معناه مالا تراه فيه عندهم تقمعه ، ترى فيه تراكيا لا يلفتك لأنه استلبد كل قدرة في معاولة البحث والكشف ، فكان

معناه لص اجتذبت له كل قدرة للصوص التي تهأت لسيطان اللصوص .

فهو يهتك فلا تجر شيئا على نحو ما مدح به الخصمي :

قاضي إذا التبس الأمران عن له

ولهي يغلص بين الماء واللبن (٢)

تراكيبه :

وكذا نسج شعره فانك واجد فيه مواءمة ما بعدها مواءمة بين المعاني وأثوابها ، ولا مرة في أنه تهيأ لمثل هذا النسج بفطرة قوية ، لاتدانيها الا فطرة الأولين ، ولكن يزيدها عند المتنبي ما قد أصابه من قدرة مركبة ، هكذا أصفها منها ما يرجع إلى أثر مكين ، ومنها ما يرجع إلى مكتب استقطبته تحيزة أصيلة - فهو في نسج شعره كما مدح به القاضي أبا الفضل الأنطاكي :

كلهاته قصب ومن فواضل

كل الفرائي تحتعن مفاصل (٣)

صنعه :

وبعض ذلك صنعه اجتذبت له وسائلها مثلثات هيأت له خصائص تلك العظمة في قول الشعر - فانت تدوق شعره فلا تحس منه هذا الذي تحسه في شعر أغلب طلبة من تعمل الصنعة والتصنع فيه وظهوره - ولطالما ذكر المتنبي نفسه هذا الذي أشير إليه ، فقال :

أنا الذي نظرت الأعمى إلى أدبي

واسمعت كلباسي من به صمم

أنام مل جفوني عن شواردها

ويسهر الخلق جراحا ويغصم

(١) ديوانه - ١٦٦ -

(٢) ديوانه - ١٥٥ -

(٣) ديوانه - ١٦٣ -

إشادته بالقوة :

فما أكثر ما امتدح القوة ، وإشاد بالأقوياء ، وأضفاها على نفسه ، وحسبنا قوله شاهداً :

ومرّفت سرت بين الموجتين به
حتى ضربت وموج الموت يلقطهم
فالخيل والليل والبيداء تعرفني
والحرب والفرّ والفرطاس والقلم^(١)
وكذا قوله :

أعددت للقادرين أسيافاً
أجّدت منهم بمن أنافلا
لا يرحم الله أوّساً لهم
أطرف عن هامهن الحافا
ما ينقسم السيف غير قلتهن
وأن تكون المئون آلافا^(٢)

ولطالما أعجب الناس بالقوة ومجدها وبالأقوياء فأعطوهم ، لانتيمهم عنها وعنهم أن تكون قوة غاشية باطنة آتية أو أن يكون الأقوياء جبابرة طغاة سفاحين ، بل أنهم لأعجب بمثل تلك القوة وبمثل هؤلاء الأقوياء وإشدّ أكباراً .

تعاليله :

والمتنبي لم يدخر سعة في الفخر بنفسه والتعالي حتى مديحه فما كان أكثر ما ارتفع على مددوحه . بل طفى عليه وغيبه في طله ، فمن ذلك قوله وهو في معرض عتاب لسيف الدولة :

كم تطلبون لنا عيباً فيمجزمكم
ويكره الله ما تاتون والكرم
ما أبعد العيب والنقصان من شرخي
أنا الثريا وذان الشيب والهزم

فقد جعل الخلق جميعاً ندّاً له ، وانتهى إلى أنه قارعهم وغلبهم وجعلهم يسهرون حائرين في شعره وأسباب إبداعه .

لغته وأسلوبه :

ومثل هذا أيضاً ما يمكن أن يقال في لغته وأسلوبه وما إلى ذلك من شأن شعره الذي ملا الدنيا وشغل الناس . بيد أن هذا كله وغيره ، قد تناوله الدارسون وقلّوه وأتى عليه النقاد ونخلوه . وإن كان المتنبي كسواء من هؤلاء الذين لا يفك أدبهم مثار الدرس والبحث ، لا ينفذ معينه .

الاجابة الزمعة :

والاجابة الزمعة لسؤالي المذكور لم أبلغها بعد ، ولكن كان علي أن اكتب عند الذي مضى ، ذلك لأنه الجانب المهم الذي شغل أغلب الدارسين ، واقتضاء تنهيد لازم . والاجابة التي أضع سوفها ورد بها على السؤال المتقدم فهي التفسير الذي اقتنعت به ، وملت اليه ورجحته في سببية الحاح هؤلاء الدارسين ، وإعجاب المعجبين بالشاعر وشعره ، وكذلك المنتقسين له والمنتعفين عليه ، المستعطين لزلزلاته ، ولطالما جمعت الحب والكره أسباب مؤتلفة وأعراض متداخلة .

الشاعر الانسان :

فمن ذلك أن المتنبي نفسه يمثل بنزعاته المختلفة التي ترجمها شعره أوضح ترجمة الانسان ذاته في أغلب احواله ، سواء في قوته أو ضعفه ، في غناه أو فقره ، في عزته أو بذله ، في ثورته أو هويته ، في حبه أو كرهه ، في صدقه أو كذبه ، والمتنبي اذا جردناه في أغلب قصائده من اسمه ، وأخذناه احوالا وموضوعات لا لامري . بعينه ، رأينا أنها توائم أغلب الناس في احوال معاشهم ، في كل الظروف التي اعدناها فهم وإن تفاوتت همهم واختلفت اغراضهم علوا ودنوا ، ممتازون بانسانية واحدة تصبغ أفكارهم وتسم سلوكهم . لهذا فالمتنبي قد مثلهم أوضح تمثيل وحقق احوالهم أدق تحقيق .

(١) ديوانه - ٣٢٤ -

(٢) ديوانه - ٤٩٤ -

وختم قصيدته تلك بقوله :

هذا عتابك الا انه مقصه
تضمن السدر الا انه يعلم (١)

وكان لتلك القصيدة قصة اوشكت نهاية المتنبي ان تكون خاتمة لها . ومثل ذلك قوله في معرض مديحه لسيف الدولة :

ان نيو ب الزمان تعرفني
انا السدي طال عجبها عمودي
وفي ما قارع الخطوب وما
آنسني بالمصائب السود (٢)

ويوشك المتنبي الا يغيب في قصيدة من قصائده . وهذا جانب مهم في روعة شعره واثر اسره الذي لا يكاد يغفل عنه كثير من متذوقيه .

امتياز هجائه :

وقرين هذا اللون من الشعر ما يمكن ان يندرج تحت فن الهجاء ، ولكن في شعر المتنبي شيئا أكثر من الهجاء . فيه مزيج من الكبرياء ويرتدي منها مازا له ، ومن الصغار يلبس منه ما يشاء من بشاء ، فاذا أنت مشفق أشد الاشفاق على هذا من هؤلاء الذي تعرض لهم الشعراء بذلك ، واذا أنت خائف مرتاع من هذا السلطان الذي لا يرد قضاؤه ، فمن ذلك ذمة الأعور بن كروس :

فايبن كروس ، يانصف اعمى
وان تفخر فيا نصف البصير
تعادينا لانا غير لكن
وتبغضنا لانا غير عور
فلو كنت امرا يهجي هجونا
ولكن حناق فيترعن مسير (٣)

ومن ذلك ذمة للسامري ، يقول :

اسامري ضحكة لعل رائسي
طنت وانت اغبن الاغبياء

صغرت عن المديح فقلت اهجي
كانك ماصغرت عن الهجاء
وما فكرت قبلك في محال
ولا جربت سيفي في هباء (٤)

ويتجاوز ذلك الى الناس كافة ، وهو أول شاعر يفعل ذلك ، يقول :

بكل ارض وظنتها اسمم
ترعى بعبد كانها غنم
يستخشن الخز حين يلهمه
وكان يبيري بظفره القلم (٥)

ويقول في موضع اخر :

انا في امة تداركها الله
غريب كصالح في ثمود (٦)

فهذا أيضا مالت الناس به معجبون وهم اليه منجذبون تطلعون به انفسهم الكنودة بنقااص الانسان فيهم ، فيجدون في مثل هذا الشعر مرتعا خصبا يفتنون منه . وما أكثر ما سرى المصائب عن نفسه بمصيبة غيره ، فتغزى بها ، فهو من هذا القبيل .

موافقة اسلوبه لمعاينه :

وزاد تعلق الناس بالمتنبي ان كثيرا من شعراء جاءت صياغته في قالب حكيم موثم ، سائر على اللسان ، غير مباین للطبع او مجاف للذوق السليم متحرر من قيود الزمان واعراض الحياة ، وكان هذا الشعر يخلق الزمان ولا يخلقه الزمان .

- (١) ديوانه - ٣٢٥ -
- (٢) ديوانه - ٢٨٤ -
- (٣) ديوانه - ١٥٥ -
- (٤) ديوانه - ٣٢٦ -
- (٥) ديوانه - ٨٥ -
- (٦) ديوانه - ١٦ -

القوة مع الكلية المبتللة بها . وأما الحكمة عند التنبيي فهي على ما وصفنا سخية التجربة قوية الحيوية في دقة أداء وتخير عبارة ، تقترب من النفس حتى تشملها وتخالط الفؤاد حتى كأنها عنه صدرت ، هذا سوى لون آخر من الحكمة جاءت التنبيي مما وافق طباعه ، وخالط مزاجه من الثقافة والفكر الذي كان يصيغ معرفة الشعراء إذ ذاك .

أمثلة منها :

ومنها قوله :

إذا غامرت في شرف مروم
فلا تنزع بما دون النجوم
فظم الموت في أمر حقير
كظم الموت في أمر عظيم

ومنها قوله من القصيدة ذاتها :

يرى الجناء أن العجز عقل
وتلك خديعة الطبع اللئيم
وكل شجاعة في المرء تقني
ولا مثل الشجاعة في الحكيم
كم من عائب قولاً صحيحاً
وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الأذان منه
على قدر القرائح للعلوم (٥)

ومنها قوله :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
حتى يراق على جوانبه الدم (٦)
ومنها قوله :

معانيه الموافقة :

وأضافة إلى هذا اللون من الشعر أن معانيه متناسبة مع الإنسان في كثير من أطواره وأحواله المتعددة مع الأيام المتجددة على مر العصور ، فمن ذلك قوله :

ما كل من طلب المعالي نافذاً
فيها لا كل الرجال فحسوا (١)

وقوله :

كم مخلص وعلا في خوض مهلكة
وقتلة قرنت بالدم في الجبن (٢)

وقوله :

أنعم ولد فلأموور وأواخر
أبدأ إذا كانت لهن أوائل
مادمت من أرب الحسان فاتها
روق الشباب عليك ظل ذائل
للهو أونه تمر كأنها
قبل يزودها جيب راحل
جمع الزمان فما لليد خالص
مما يشوب ولا سرور كامل (٣)

وقوله :

إذا الفضل لم يرفعك عن شكر ناص
على هبة فالفضل فيمن له الشكر
ومن ينفق الساعات في جمع ماله
مخافة فقر فالذي فعل الفقر (٤)

صفة حكمته :

ومثل هذا عنده كثير ، فهو ليس بحكمة خالصة ، ذلك أن الحكمة في كثير من شعر المتنبي تكاد تجف ، فلا نجد فيها هذا المزاج الحي الذي تختلط فيه التجربة

(١) ديوانه - ١٣٦ -

(٢) ديوانه - ١٥٦ -

(٣) ديوانه - ١٦٤ -

(٤) ديوانه - ١٧٥ -

(٥) ديوانه - ٢١٦ -

(٦) ديوانه - ٢١٨ -

(الظلم في خلق النفوس فان تجد
ذا غفة فاعلم لا يظلم (١)

وقوله :

واذا كانت النفوس كبارا
تعبت في مرادها الأجسام (٢)

وقوله :

اهل الحفيظة الا ان تجربهم
وفي التجارب بعد الغي مايزع
وما الحياة ونفس بعد ما علمت
ان الحياة كما لا تشتهي طبع (٣)

وقوله :

ولابد الحياة انفس في النفس
س وأشهى من ان يمل وحلى
واذا الشيخ قال اف فما مل
حياة وانما الضعف ملا
آلة العيش صحة وشباب
فاذا وليا عن المرء إلى
ابدا تسترد ما تهب الدنيا
فيا ليت جودها كان نجلا (٤)

وهذا اللون من الحكمة وان كان في جانب منه تحصيل
الفكر والثقافة اذ ذلك غير انه من طبيعة الشاعر فكرا
وروحا ، استثار فيه هذه الكوامن الفكرية ، وبعت تلك
المعاني الروحية ، فاذا حكته في لبس جديد ، لآثر

لجمود الفكر اذا استعير ، ولا جفوة الثقافة المستفادة .
وهي كذلك ابنة الحياة التي كتب لها السرور والبقاء
مادامت الحياة .

وحق للتنبؤ ان يقول :

وما الدهر الا من رواة قصائدي
اذا قلت شعرا اصبح الدهر منتدا
فسار به من لا يسر مشمرا
وغنى به من لا يغني مفردا (٥)

خلاصة :

وقد اصاب ابن رشيح اذ وصفه بقوله : « جاء التنبؤ
فدلا الدنيا وشغل الناس » .
اما خلاصة كليتنا فقد تضمنتها مقالة القاضي الفاضل
ابن ذكرها ابن الاثير في كتابه الوشي المرقوم ووافقه
عليها ، وهي ماهي في الحكم على شعر ابي الطيب دقة
تقويم وروعة شمول على تباين ذوق العصرين ومفارقة
موازين الرجلين ، وهي : « ان ابا الطيب ينطق عن
خواطر الناس » .



جامعة تشرين - اللاذقية - محي الدين رمضان

- (١) ديوانه - ٢١٩
- (٢) ديوانه - ٢٤٩
- (٣) ديوانه - ٤٠٢
- (٤) ديوانه - ٤٠٠
- (٥) ديوانه - ٣٦١

شعرنا الحديث



عبد الله يادوي

نفس النهاية ، والذين ألف هذا الكتاب أساسا لتحتيهم
عن عالم الشعر !

وعلى كل فالناقد يرى ان الحداثة مفهوم حضاري
وتصور جديد لحياة جديدة ، وبهذا تكون وظيفة الشعر
- كما يقال - الكشف عن عالم يظل أبدا في حاجة الى
الكشف ، وبهذا الفهم العميق لقضية الشعر يدخل
الناقد الى عالم الشعر الحديث ولكن التطبيق
يخونه لا في بعض الأحيان ولكن في كثير من الأحيان،
وبخاصة حين يفتح أقواسا ثم يرحل داخلها شعراء ، ثم
يرسم دوائر ويحشد داخلها اتجاهات ونحن نلتصق
للناقد العفر ذلك لأن طموحه كان أكبر من النماذج التي
تحت يديه ، ولعله كان من الانصاف ان يدخل جنته
بعض الشعراء الكبار الذين يكتبون الشعر في شكله
المتوارث والمتطور معا ، مادامت رؤياهم حديثة ، وما
دام ينطبق عليهم فهمه للشعر ، ولكنه اراد ان ينحني
تساك كل الشعراء الذين لا يكتبون بالطريقة الحديثة ،
ومعنى هذا ان شكل « العروضة » كما يسيطر عليه الفهم
العميق لقضية الشعر ، ومعنى هذا ان شعراء تتفوق
رؤيتهم الحديثة كمحمود حسن اسماعيل ، والحواري
وشوقي بغدادي يجب ان يقيموا في المنفى في الوقت
الذي توضع فيه النيجان على رؤوس وهمة !

وقد ترتب على هذا القصور في نظري ان انكسرت
بعض الموانئ التي يقوم عليها الكتاب اساسا ، فمن
غير المحقول ان التيار الاول في الشعر العربي والذي
يقوم على اساس قومي يمثل شاعرة تعاطفت معه اخيرا

يمكن القول بان كتاب « شعرنا الحديث الى اين ؟ »
من الخصوبة والاثارة بحيث يستحق ان تناقش فيه
العديد من القضايا ، ففالي شكري يقدم كتابه في ارض
تشبه الارض الخراب لأنه ما قبل الكتب الجادة في هذا
الموضوع ، ثم انه يتعرض للشعر من زاوية جديدة تماما،
ويصلر احكاما حاسمة من خلال المواقف التي يتخلها
من هذا الشعر ، ثم انه - وهذا عمل طيب - يقدم
صورة عامة للشعر في العالم العربي مع التركيز بصفة
خاصة على شعراء مصر وسورية ولبنان .
وهو في كل هذا يسير مدججا بالعديد من النظريات
البنغدية بالإضافة الى ايدولوجية سياسية تصرخ بين
الحين والحين ، ومعنى هذا انه قال كلمته بوضوح ،
وان على الشعراء انفسهم ان يتزقوا مادام قد القى
عليهم سيفا ٠٠ لا سالما !

وابتداء فمنهج هذا الكتاب الصارخ ليس كهج
انتشرين من اساتذة الجامعة الذين يتأنون في كل شيء
والذين لا يصلون الى الاحكام الا ببطء شديد ، ذلك لأن
الناقد « غالي شكري » دخل الى هذا العالم وفي ذهنه
ان يقلب الموازين ، ويعيد ترتيب عالم الشعر من جديد
على أية صورة ومع ان هذا من حقه ، الا ان نقطة
الضعف تكمن عنده في الدخول بفاهيم مسبقة في
الشعر العربي ، وبشعراء باعياهم يعتقد من وجهة نظره
انهم ملح الارض ، وهم في الواقع وراء الميوعة في فهم
الشعر الآن ، ووراء نكسته الحقيقية ، فهم اهلون على
الشعر من هؤلاء التقليديين الذين كانت بدايتهم هي

هو « الوليد بن يزيد » يدعو الى مانسيه الان بالتعرف على الواقع الاجتماعي ، فهو لم يتكلم عن أية قصر ، كما قيل عن أحد الخلفاء وانما تكلم عن هموم البسطاء من الناس ، ونظر الى الأشياء نظرة واقعية ، والوليد هذا هو الذي ابتكر من غير جداله الأزواج « في الشعر وليس بشار كما ذكر غالي ، فاذا أضفنا الى الوليد بن يزيد بعض شعراء ثورة الزنج وعلى رأسهم قائمها ٠٠ ادر كنا ان لنا ميراثا في هذا ٠٠ اي ميراث ، واذا كان لابد من تسمية لهذا الاتجاه في الشعر العربي فانها ستكون بلا شك القرب من روح الشعب في الشعر ٠

واذا أخذنا العصر العباسي مثلا فانا ان نسرع الى تجديد ابي نواس فتجديده محدود ، ولكن التجديد الحقيقي كان عند ابي العتاهية ، الذي قاد تيار التسمية في الشعر ، ولنسنتح الى صاحب الأغاني يقول « وله اشعار لاتدخل في المروص » معنى هذا انه اقرب من قصيدة النثر ، كما ذكر صاحب الأغاني « وله اوزان طريقة قالها بما م يقدم فيها الاوائل » كما انه اثنى في شعره بمازودج في القصيدة المسماة « ذات الأمانات ، وابتهك وزنا - كما ذكر ابن المعتز - على ايقاع مدقة » مبيض الثياب ، بل ان بعضهم قد اسقط القافية تماما ، وهناك امثلة على هذا في العمدة لابن رشيقي ، واعجاز القرآن للباقلاني ، ومر الغصاة لابن سنان الخفاجي ٠

والان هل وصل المجددون المعاصرون الى اكثر مما وصل اليه هؤلاء الذين ننظر في وجوههم بغضب ؟ وفي المنطقة التي يشاع عنها انها منطقة التباث ؟ ٠٠ ان ما اريد ان اقله انه سواء اكانت هذه الحركة برمتها تنتهي الى الحضارة الغربية كما يريد النقاد ان تقول ، او تنتهي الى جانب من التراث العربي كما يجب ان تقول ، فان الذي لاشك فيه انه كانت هناك حركات تجديد وحركات جديدة في التراث اشع منها واروع ٠

وقد يأتي سؤال يقول : ولماذا كانت حركات التجديد هذه تعاصر ، ولا تنداح ؟ والجواب ا النقاد كانوا في الغالب من المحافظين ومن العاملين على اجهاض هذه

في عدد من القصائد ، صحيح انه يحكم على هذا التيار بالبور ، وانه يريد ان يجلد اصحاب هذا الاتجاه وبخاصة حين يوميء الى ان القدسية تختلف عن اولهم بالدين ، ولكن الذي نعتقه ان الشاعر الذي وقف عنده يعتبر دون هذا الاتجاه ، اما الشاعرة فاكبر من هذا الاتجاه بالمفهوم الذي حدده له ٠

ولقد كان تركيز غالي شكري الحقيقي في هذا الكتاب على ان الشعر الحديث ليس استنادا للشعر العربي ، فهو بجسسه تسرة الاتصال الحميمة بالعالم الاوربي بصفة خاصة ، ومع ان هذا الكلام يبعد في جانب منه عن الموضوعية ، الا اني اريد ان اثبت له - وهذا هو المهم - ان كل هذا التجديد جاء به الشعر الحديث ليس شيئا فذا في تاريخ التطور في الشعر العربي ، ومع ان غالي يذكر ان كل شيء حدث في المسيرة العربية كان « تجديدا الى حد ما ، ولم يكنه جديدا ، الا اني سأذكر به بالعكس تماما ، وابتداء سأتارك النقط المضنية التي يهرول اليها الكثيرون حين يتكلمون عن التجديد فسي الاندلس ، ذلك لاني سألجا الى الاماكن التي يشاع ان التباث فيها كان سيد الواقف لادلل على ان الشعر الحديث لم يظهر شقاقة للشعر الا لانه كانت هنالك فترة تدهور ضاربة الجنور ولادلل على ان على الحضارة العربية لم تكن تلعب دورها حتى جاء لويس عوض ومحمود العاليم ونازك الملائكة وفي يد كل منهم « منافستو » على حد تعبير غالي شكري ٠

فهنالك عدد من النصوص اخص منها « للشيفري » قدمه أحد المحققين الهنود ، ومن خلاله نستدل على انه استعمل « التفعيلة المنشقة » التي كانت جهد لويس عوض فيما بعد ٠٠ ولن يذكر احد ان الشيفري كان في بدايات الشعر العربي ، ذلك لانه جاء في رابعة نهار الشعر اجهالي ، وبالإضافة الى هذا توجد نماذج للشعراء السود في الشعر العربي ، وتوجد نماذج اعنت للنئين في الجواز بصفة خاصة « ومن خلالها نذكر القرب الحميم من » عروضة » الشعر الحديث ، وبخاصة حين اصبح تنفس الشاعر يقف اكثر من مرة داخل الشطر أو البيت ٠

فاذا جننا الى العصر الاموي وجدنا خليفة من الخلفاء

الحركات التي كان بعضها لا يتحرك وانما يقفز ، ولهذا اقتصر جهدهم على رصد الظواهر التي ترضي الأذواق الثابتة ، وصمتوا عن عمليات الغليان التي كان يزدحم بها قلب الشعر !

وانطلاقاً من دور النقاد هذا ننهي الى اهم نقطة في كتاب غالي وهي ان النقاد هم الذين شقوا للجدید طريقاً ، وهم العلامات التي تقود الى مناخ الشعر الحديث ، فتحن نؤمن ان الجديد كان يأتي دائماً على يد الشعراء الحقيقيين ، أما النقاد الذين ليس لهم اسهام حقيقي في ابداع الشعر ، فكل ما قالوه اصبح هباء او موقفاً للحركة الشعرية ، ذلك لان الشعر في نظرهم كان مطية تركب لتأكيد مرحلة من المراحل لغرض من الأغراض ، ثم يترك ليتحول في عالم من الضياع .

ولكي نفهم هذه الحقيقة تماماً نذكر ان غالي شكري يبدأ فيضع « على احمد باكثير » و « فريد ابو حديد » على الرف ، بضموي انها لا يجسدان قضية الحدائنة في الشعر ، ثم يذكر لنا ان « المنافستو » الاول للشعر الحديث كان كتاب « بلوتولاند » للدكتور لويس عوض الذي صدر عام ١٩٤٧ ، وهو ليحكم وضع الراية في يد الدكتور لويس عوض ، يذكر ان تاريخ كتابية القصائد يرجع الى عامي ١٩٤٨ ، ١٩٤٠ ثم يقول : « أي انها تسبق كافة الارهاصات والبدائيات التي يشار اليها اكاډيميا بأنها الاصول الباكورة لحركة الشعر الحديث » ، وكأنه لا يدري ان هذه البدائيات قد صدرت مع ذلك قبل عام ١٩٣٧ ، واننا لو رجعنا عشر سنوات عن تاريخ النشر - كما فعل - لكان التاريخ هو ١٩٢٧ .

وعلى كل فغالي يرى ان هذا الكتيب أعطى الشاعر حقه في التجريب ، وان العمود الخليلي اذا كان قد كسر في الاندلس فان الدكتور لويس اجيز عليه ، كما أنه كسر في الوقت نفسه عمود اللغة ، ورفض ابداً القائل بوجود قيم نهائية في الشعر ، كما غرس المفهوم المضاد للمطلق الموسيقي في الشعر ، وأضاف مفهومًا للقصة بخالف مفهوم عسر بن ابي ربيعة ، بالإضافة الى خاصية الانسياب .

ومع انه يقال ان هذا الكلام قد قام على محاربة المطلق الا انه من الواضح انه لا يعتمد الا على المطلق فمع ان كل الشعراء الاذكياء قد عاشوا عصرهم وبعضهم سبقه ، ومع ان لا نسلم بوجود كل هذه القائفة المطلقة عند الدكتور لويس ، الا ان ما يريد المؤلف يمكن الاستدلال عليه ، وبوضعية تامة من خلال الشعراء الصعاليك ، ومن خلال الشعراء الاغربة . بل اننا نذهب أكثر من ذلك الى القول بأن تجارب الدكتور لويس ليست من الشعر الجديد في شيء ، فالكتيب كان محدود المدى ، ويسير في ظلال الموشحات الاندلسية ، ويتبع في الوقت نفسه طريق الزخرفة متنبكاً روح التيسير والتبسيط التي كان ينتجها الشعر الحديث ، ولقد اعتمد على الشكل الهرمي المنسق ، ولقد راوح بين القوافي متاثراً بالشعر الانجليزي . ومن هنا فهو لم يجعل عروضته التفعيلة ، ولهذا يكون « علي احمد باكثير » سابقاً - وبجسم - الى الاهتمام اليها في ترجمته لرومي وجليوت ، ويكون « محمد فريد ابو حديد » قد تأثر بعلي احمد باكثير كذلك في ما كتب وما صغر بعد اعمال باكثير ، اما الاعمال السابقة لابي حديد فكانت تعتمد اساساً على النظام الشطري .

ومن المعروف ان كثيراً من هذه الاعمال لم تكن مترجمة فقط حتى يقال ان هذا الجديد كان الدافع الوحيد اليه هو الترجمة ، ذلك لاننا رأينا في اعمال هؤلاء الرواد اعمالاً غير مترجمة مثل اخناطون ونفرتيتي ، ومثل الوطن الاكبر التي لم تنشر الى الان لباكثير ، بالإضافة الى مقتل عثمان لابي حديد .

معنى هذا ان اعمال الدكتور لويس ليست من الشعر الحديث في الشعر ، وانها سبقت بأعمال كثيرة ناضجة وتعتمد اساساً على التفعيلة .

ولقد نبه الشاعر العراقي هلال ناجي ففعل في هذه القضية مبكراً حين اثّر ان الشعر الحديث اصله سيامي او نازكي ، فكان ان قال : الحق ان اصله باكثري ، ثم ان هناك كتابات بين السياب وباكثير ، وفي هذه الكتابات ذكر السياب انه انتفع بأعمال

باكثر . ولقد كان من الغريب حقاً ان يصرخ الدكتور محمد النوبي بهذا الادعاء الذي يقول انه يرى ان يسمى الشعر الحديث « الشعر النطلق » ولقد ذكر الكثيرون له هذا ، ومنهم غالبي . وكان احداً لا يعرف ان هذا المصطلح صاحبه علي احمد باكثر . وانه موجود بينط عريض في مقدمة « اختاتون ونفريت » .

■

فاذا انتقلنا الى المناقشة الثاني ، وجدنا انه يقصد به المقال الذي كتبه محمود امين العالم ، وهو يسميه مقالاً تاريخياً ، ثم يذكر ان هذا المقال التاريخي يعتمد على ركيزتين اولاهما : ان الشعر يعتبر صدى وانعكاساً للواقع السياسي ، وان الشكل الجديد هو المنفذ للشعر ، وما دام هذا المقال يقدم هاتين المفهومين فقط ، فانا نترك ادانته لقالي نفسه حين يقول تعليقا علي قول محمود امين العالم عام ١٩٦٦ : « انا اصلي من اجل رؤية شعرية جديدة » انا لا احسن بضرورة ما اقرا من شعر الشعراء في بلادي في هذه الايام ، يقول غالي « لعل محمود يشعر بغداحة المسؤولية فهذا الجيل هو حصاده البكر ! » .

اما المناقشة الثالث بعد كتيب لويس عوض ومقال محمود العالم ، فقد كان في نظره كتاباً قصايا الشعر المعاصر ، لتنازل الملائكة ، ولكنه لا يقوم وجهة نظرها الصحيحة في الكتاب ، وانما يعرضها ويكاد يأخذ بخناقها في كل مكان يأتي فيه اسمها ثم يقول « وبينما ارادت له ان يكون مناقشة نظري للشعر الحر فانه في الواقع جاء متأخرا عندما دخل هذا الشعر مرحلة الذبول والشيوخوخة ، واضحى الكتاب قريبا من اللحن الجنائزي الذي يصوغ النهاية التي ادعواها بالسنتيفي الحديثة » .

- وقد كنت احب لقالي ان يضع مكان هذا الكتاب او بالاضافة اليه . مقدمة نازك لديوان شطايان ورماد ففي مقدمة هذا الديوان الطويل تورثها الحقيقية ، ورؤيتها الحديثة ، واسهامها الرائد في مجال الحدأة في الشعر . فعلى مائسة هذه المقدمة جلس الكثيرون واخذوا يصيهم وثرثروا حول ما جاء فيها .

من كل هذا يظهر انه خلال التراث العربي كانت توجد قفزات في الشعر ، وان الشعر الحديث لم يكن

مقطوع الصلة بسيرة الشعر العربي ، وان حركة الشعر الحديث ليس اخر المطاف في حركة انشعر العربي ، اما محاولة اثبات ان اول تور حقيقة في الشعر العربي كانت ثورة الدكتور لويس فشي لا يتفق والحقيقة في شيء ، فمحاولاته اساسا ليست من الشعر الحديث في شيء ، فهي تفريع ردي على بعض الموشحات الاندلسية وهي اقتباس لنظام المرواحة في النقفية ، وهي قد جاءت متأخرة عن تجارب متكاملة ، ثم ان الذين اثبتوا جدارهم في تجديد الشعر العربي كانوا اساسا من الشعراء الذين لهم دور في حركة الشعر . اما شعر الدكتور لويس فشي . ساقط وركيك وضيق وهو نفسه لا ينكر هذا ؟ ولا ينكر ان رؤيته في اشعاره مختلفة وردنية !

فاذا وصلنا الى المناقشة الثاني وجدنا غالي يدينه ! واذا انتهينا الى المناقشة الثالث وجدناه يدينه كذلك . ولكن بعنف غير موضوعي ، ويؤكد في الوقت نفسه ان صاحبة تهزول الى حافة . . الالوجود الشعري . .

وبالصورة الخاطئة التي يعتمد عليها الكتاب اساسا ، والتي تقوم على دوائر لا تنطبق على اصحابها وتعلق اوسية على فراغ . . يكون الشعر في محنة حقيقية ، ويكون لا أمل للخروج من هذه المحنة ، ولكن الناقد قد يغطي هذا بالهتاف للبعض التي حد الصراع ، وبالضغط على البعض التي حد القتل . ومع هذا فالكتاب يكون في اساسه قد انطلق من محاور صحيحة في الغالب ، الا انه حين اراد ان يطبق ، وحين اراد ان يجمال او يهن البعض بدون مبرر يكون قد فقد جانباً كبيراً من الموضوعية . . ومن الحق !

وعلى الرغم من هذه النواقص فانه يبقى في مقمنة ماكتب عن الشعر الحديث ، وبخاصة ماكتبه الدكتور محمد النوبي ، وجيل كمال الدين ففي الكتاب طموح لمحاولة اسماك حركة الشعر الحديث ، وفيه استيعاب لمحاولات العديد من شعراء العالم العربي ، وفيه هذا الاصرار على ان يقول شيئا بعينه ما دام يعتقد . ثم اخيرا فيه انه يرتاد علما يهرب منه الكثيرون وبخاصة اساتذة الجامعات ، وفوق هذا العالم يركز بحسن راية . . اية راية ؟

تشيكوسلوفاكيا قوة صناعية عالمية كبيرة

المقدم في الأسواق العالمية عن طريق التكامل والتعاون المتشدين في إطار بلدان مجلس المونة الاقتصادية المتبادلة .

من الواضح ان الصناعات الميكانيكية ليست هي المصدر الوحيد للصادرات التشيكوسلوفاكية والعامل الوحيد للتوازن والصفحة الحديثة للاقتصاد التشيكوسلوفاكي الوطني . ونسب رجال الاقتصاد حديثاً دور القوة الدافعة للاقتصاد الحديث الى الصناعة الكيميائية ان الاكتشافات الثورية والامكانيات المحدودة للصناعة الكيميائية لجعل جميع نشاطات الانتاج اكثر فعالية يقومهم للوصول الى مثل هذه النتيجة . وليس نصيب الصناعة الكيميائية : التشيكوسلوفاكية في خلق الدخل القومي كبيراً مثل نصيب الصناعات الميكانيكية لكن هذا لا يعني ان اهميتها تآكل تقديراً اقل من الواقع . تشيكوسلوفاكيا لها ثلاثة تقاليد غنية ايضاً في هذا النوع ، وخاصة في الكيمياء الصناعية المسماة التخليق والانتاج الاسمعة الاصطناعية للزراعة . فالطود النسبي لحظوظ الاقتصاد الوطني والتعاون مع بلدان الصكر الاشتراكي قد اتاحا ايجاد مصادر للمواد الأولية والوسائل الضرورية لما تشغله الكيمياء في التركيب العملي للاقتصاد التشيكوسلوفاكي من مكانة متفصها بحق . وفي ان واحد مع تحديث المنتجات الكيميائية التقليدية حدثت ايضاً اامعة ذات شأن للمعامل المتخلطة ، وهي مطلبة من الناحية التقنية ومن وجهة نظر التوفيقات والتي تشكل في هذه الايام قاعدة واسعة للكيمياء الحديثة توجه نحو صناعة المواد الجديدة ونحو استخدامها ، ونحو تحقيق اعمال الصنع الكيميائي ، وذلك يعني مرحلة جديدة في الاقتصاد الاجتماعي . وقد وجدت المواد البلاستيكية تطبيقها في جميع فروع الانتاج والاستهلاك ، ان وفرة الالياف الاصطناعية تسهل استعمالها حتى خارج صماء النسيج ، والكيمياء قد اتاحت زيادة وتحسين نوعية الانتاج التقليدي للورق كما والتطور الصخم لصناعة الادوية غير التقليدية . واصبح عدد من عمليات الصنع والتوفيقات النهائية ممكناً بفضل الاكتشافات الكيميائية الصخب .

ان شيمبي زافودني زربوذي قرب موشت هي المصانع الكيميائية المتخلطة ذات الشأن الاكظم في تشيكوسلوفاكيا . وهي تستفيد من الاحتياطات الغنية من الليثيوم من المناطق المجاورة كما ومن البترول السوفييتي اللامع الاتي عن طريق اوليوبود . فالبتروكيمياة جعل بالامكان ولادة مجموعة من المعامل المتخلطة البيروكيميائية بالقرب من برايتسلافيا في سلوفاكيا والاسمعة الصناعية التي توفر المردودات الكبيرة للزراعة التشيكوسلوفاكية تصنع من قبل بعض المعامل المتخلطة الجديدة او التي جرى تحديثها . وجميع معامل الانتاج ومعالجة المواد البلاستيكية جديدة ، مثل المعامل الاخرى التي تعدد تنسيق الصناعة الكيميائية من اجل احتياجات السوق المحلية والاجنبية . وهذا ليس فقط بفضل الصناعات الميكانيكية والكيمياء . وتعد تشيكوسلوفاكيا بحق من بين اكبر القوى الصناعية العالمية ،

منذ اكثر من نصف قرن ، تشكل الامكانية الصناعية لجمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية نمراً دافعاً هاماً لتجارة العالم المتوجهات المنتجات الصناعية التشيكوسلوفاكية في الأسواق العالمية لم تصب بطريقة عرضية . فالمستوى العالي للانتاج مكفل كماله ثابتاً من قبل الخبرة التي تعود الى اوائل الثورة الصناعية الاولى كما ومن قبل مبادئ توجيه الاقتصاد الاشتراكي التي تتبع نملاً فعالاً وقويماً لوارد البلاد المادية وللنقد التقني والفكري للمتجدين - المعامل والعلمين والمنظمين والعلماء .

ولي تشيكوسلوفاكيا الحالية، تشكل الصناعة فرعاً موجهها للاقتصاد الراشدي . فهي تساهم في خلق دخل قوي يزيد عن ٧٠ ٪ . وخلال السنوات الخمس وعشرين الاخيرة ، سجلت الصناعات الميكانيكية ، وهي القسم الرئيسي الاكثر فعالية من الصناعة التشيكوسلوفاكية ، الزيادة الاسرع . وقد ادخلت في نفس الوقت تبديلاً نوعياً هاماً وحصلت على قاعدة واسعة قوية علمية وخاصة بالبحوث العلمية . وتظهر التجديدات التي قدمتها الصناعات الميكانيكية التشيكوسلوفاكية عملياً كل يوم وهي : استخدام المواد الجديدة ، وتفتيق الصناعات ، وادخال نظام الحركة الدافعة اوتوماتيكي في الآلات ذات الاستعمال الفريد ، والطلب عن طريق برنامج نه رموز لجموعات التوفيق الاثر اهمية كما ولاختراعات الثورية ، مثل آلة النسيج الناقورية التي بدأت عمراً جديداً لصناعة النسيج .

ويصعد اكثر من نصف الآلات - العدد المصنوعة في تشيكوسلوفاكيا فالشاحنات القوية . ماركات تاترا التي ارفع انتاجها خلال السنوات الاخيرة بفضل مساعدة مجلس المونة الاقتصادية المتبادلة للشحن ان رضاع جميع المهتمين منفصلة جداً عادة . ومعامل زافودني ف.دي لينينا في بلزن (سكودا) وزافودني فيتيز نيهوا اوتورا في هراديك كراوفو تود مجموعات التوفيق التالية وهي : زراكيب المركبات الكهربائية ، ومصابي البترول الخام ، ومعامل سكر ، ومعامل جعة ، وخطوط مصنع السجائر ، وتركيب الصناعات المعدنية والكيميائية . والاسواق العالمية تعيد ايضاً محركات الاحتراق ديزل، واثاثات الرياضة ، والآلات البناء والجرافات انهرية ، والقوارب النهرية والآلات النسيج ، والآلات الاسكافية ، وزراكيب تقنياس ، ومنتجات المواصلات ، والمركبات الكهربائية ومجموعة منسقة غنية من المنتجات الكهربائية التقنية ، ومضخات ماركات سيففا ، وادوات نقل ، وآلات زراعية وغيرها .

وفيما يتعلق بنصيب الانتاج الميكانيكي للفرد الواحد من السكان ، تشغل تشيكوسلوفاكيا منذ زمن طويل جداً واحداً من المراتك الاولى في العالم ، فمن طريق الانتاج الميكانيكي تعد من بين القوى العشر الكبرى في العالم . وهذا المرتب يتحسن بلا انقطاع ، وخاصة خلال السنوات الاخيرة عندما حدث تجديد وتحديث السريع بكثير من التنسيق

محتوى العدد

١	كلمة العدد	رئيس التحرير
٢	شاعران عبقريان معاصران	فوزي علي رضا النحوي
٩	الامل الاخضر	محمد العيد الخطراوي
١١	بين الادب والثقافة	محمد حسن عواد
١٤	البطل والبطولة في شعر المتنبي	د . ماهر حسن فهمي
١٧	عزيز اباطة	ثروت اباطة
١٩	فن القصة في المملكة العربية السعودية	الثقافة
٢٣	مرثية الحب والموت	شكري هلال
٢٥	نقطة نظام	علي المصري
٢٩	نور على نور	ملك الحافظ
٣١	الهر السارد	محمد المجنوب
٣٣	يا حلوة النفر	د . جميل علوش
٣٥	ابو الريحان البيروني	حسين محمد بدوي
٣٩	حوار مع محمد عبد الفنى حسن	حسين علي محمد
٤٤	الحروب الصليبية	د . طه اسحق الكيالي
٤٧	رزق مصياف	نجم الدين الصالح
٥٠	اهمية المكتبات	نعمت غنمور صعب
٥٣	ولماذا المتنبي	د . مجي الدين ومضان
٥٩	شعرنا الحديث الى اين	عبد ه بلوي
٦٣	قوة صناعية عالمية	الثقافة